عباس محمود العقاد

ديوان

عابر سبيل

الكتاب: ديوان (عابر سبيل)

الكاتب: عباس محمود العقاد

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

العقاد، عباس محمود

ديوان (عابر سبيل) / عباس محمود العقاد

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٩٣ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٧ – ٤٥٢ – ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ١٣٣٥٢ / ٢٠٢٠

ديوان

عابر سبيل

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

الموضوعات الشعرية

كلمة: «أنا حاضرة» إذا كتبتها معشوقة إلى عاشق، حملت إليه من الفرحة والشوق، وأشاعت في نفسه من الأمل واللذة ما تضيق عنه أشعار العبقريين ورسائل البلغاء، وهي تُعدُّ من أتفه الجمل، التي يتألف منها الكلام المركب المفيد، وليس في وُسْعِ تلميذ يتدرب على تأليف الجمل من مبتدأ وخبر أن يأتي بأتفه منها في الكلام.

وقد يدخل القادم الطارئ إلى مجلس، فيُلقي فيه بكلمتين اثنتين هما: «فلان يحترق»، ويكون في المجلس أبو فلان هذا وصديق له، وإنسان لا يعرفه، وعدو من أعدائه، وآخرون يعرفونه بالقالة الحسنة، وآخرون يعرفونه بالقالة السيئة؛ ثم تنظر إلى صدى الكلمتين في نفوس أولئك الجلساء؛ فإذا هو مختلف أشد اختلاف: هذا يَثِبُ معولًا، وهذا يجري مهرولًا، وذلك يسمع ويكاد لا يشعر بشيء، وإلى جانبه من يسمع ويبتسم، ومعهم من يأسفون وهم يسمعون، ومعهم أيضًا من لا يأسفون وكأنهم لا يسمعون. وإنما اختلف شعورهم بفلان هذا الذي يحترق؛ فاختلف معنى الكلمتين، وأثر هذا المعنى حسبما اختلف الشعور.

والجائع السليم يَزْدَرِدُ الرغيف القفار، يحس في أكله من اللذة والاشتهاء ما لا يحسه مَنْ يجلس إلى المائدة الفاخرة وهو متخوم أو ممعود؛ وإنما اختلفت الرغبة، واختلف الاشتهاء، فاختلف الذوق والشعور.

إن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق فيه اللذة، ويبث فيه الروح، ويجعله معنًى «شعريًّا» تهتز له النفس، أو معنى زَرِيًّا تصدف عنه الأنظار، وتعرض عنه الأسماع، وكل شيء فيه شِعْر إذا كانت فينا حياة، أو كان فينا نحوه شعور.

فليست الرياض وحدها ولا البحار ولا الكواكب هي موضوعات الشِّعْر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال، وإنما النفس التي لا تستخرج الشِّعْر إلا من هذه الموضوعات، كالجسم الذي لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المُتَخَيَّر المستحضر، أو كالمُعْدَم الذي يظن أن المُتْرَفِين لا يأكلون إلا العسل والباقلاء!

كل ما نخلع عليه من إحساسنا، ونفيض عليه من خيالنا، ونتخلله بوعينا، ونبث فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا – هو شعر وموضوع للشعر؛ لأنه حياة وموضوع للحياة.

وإن التصور لهُوَ خير مِعْوَان للإحساس وشاحذ للرغبة أو للنفور.

فإن الأم التي تنظر إلى طفلها الوليد، ثم تقضي عشرين سنة وهي تتصوره عريسًا سعيدًا، لا تفرح به يوم عرسه، كما تفرح بتصوره والرجاء في بقائه طوال تلك السنين، فإنما من نسج التصور نخلق الحُلل النفيسة التي نُضيفها على آمال الغيب ومشاهد العيان.

فلنجمع لدينا الرغبة والتصور، نجمع لدينا زادًا من الشعر لا ينفد وموضوعات للشعر تشتمل على كل ما تراه العيون وتمسُّه الأذواق،

ولنتوجه بالحواس الراغبة إلى ما نشاء، نستمرئ الشعور به والتعبير عنه، كما نستمرئ المحاسن المشهورة والمناظر المأثورة؛ لأن المحاسن نفسها لن تهزنا إليها، ولن تحل عقدة من ألسنتا؛ حتى يزينها لنا الحِّسُ الناشط والخيال المتوفز، وإن أجمل وجه ليَمُرُّ بنا في ساعة الجمود والوجوم كما تمر بنا طلعة الخادم العجوز التي نراها صباح مساء.

وعلى هذا الوجه يرى «عابر السبيل» شِعْرًا في كل مكان إذا أراد: يراه في البيت الذي يسكنه، وفي الطريق الذي يعبُره كل يوم، وفي الدكاكين المعروضة، وفي السيارة التي تُحْسَب من أدوات المعيشة اليومية، ولا تُحسب من دواعي الفن والتخيل؛ لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور، صالح للتعبير، واجد عند التعبير عنه صدًى مجيبًا في خواطر الناس.

وعندي أننا في حاجة – نحن أبناء العصر الحاضر – إلى هذا التوجيه؛ لإنقاذ النفس الإنسانية لا لإنقاذ المَلَكَة الفنية وحدها، فإننا إذا تعودنا العناية بالأشياء؛ وجدنا فيها ما يستحق العناية، وينفض عن النفس تلك التفاهة، التي غلبت على الحياة وعلى الشعر والفن في هذه الأيام الحديثة.

ومن الواضح أن التفاهة إنما تغلب على النفس وعلى الشعر لسببين: أحدهما: أن أبناء هذا العصر – ولا سيما في أوربا – فقدوا الإيمان بالمثل العليا والعقائد الراسخة والفضائل الروحية، وفَتَرَتْ نفوسهم من هذه الناحية؛ فلا يصغون إلى الشاعر الذي يَتغنَّى لهم بهذه المعاني المهجورة، ولا يظنون أن هناك أحدًا يصدقها أو يغتر بدعواها،

ومَنْ حَدَّثَهم في أغراضها التفتوا إليه ساخرين مُسْتَرِيبِين، كمَنْ يلتفت إلى محتال يحاول أن يمد يديه إلى كيس نقوده، وإن كثيرًا من الشعراء والكتاب ليصطنعون «التفاهة» اصطناعًا؛ ليدفعوا عنهم رِيبَة الاحتيال، ويظهروا للناس أنهم أفلتوا من أوهاق هذه الخديعة.

والسبب الآخر الذي وَسَمَ الشعر الأوربي الحديث بسمة «التفاهة» هو «آداب الصالونات» الشائعة، واعتبار الجمهرة الغالبة من الشعراء والكتاب أن العلاقة بين الشاعر وقارئه كالعلاقة بين جلساء «الصالون» أو جلساء الفراغ، الذين لا يتحدث الواحد منهم إلى صاحبه إلا فيما لا يهم، ولا يثير الخاطر ولا ينفذ إلى ما وراء الظواهر؛ فلا تكون العلاقة بين جلساء الصالون علاقة معلم وتلميذ، أو علاقة صفيين يتكاشفان بلواعج الضمير وهموم السريرة، ولا يُعَدُّ من الذوق عندهم أن يخرج الإنسان من الثرثرة العامة إلى الدخائل الخاصة والشواغل المطوية.

ولقد كان التهجم العصري خليقًا أن يقضي على آداب الصالونات، كما يقضي «السبورتسمان» على «الجنتلمان»، لولا أننا في عصر تفككت فيه روابط المجتمع، وضعفت الأواصر الإنسانية التي قدستها الأمم الماضية زمنًا طويلًا؛ فجاء التهجم العصري مقرونًا بالأنانية، التي لا يشغلها شاغل من الدنيا غير: إشباع اللذة، وقضاء اللحظة العابرة، والإعراض عما وراء ذلك من الأحاديث والتَّعِلَّات، فلا فرق إذن بين أَحْلَاس «الصالونات» الذين يتكلمون فيما لا يهم؛ مُجَارَاةً للعُرْف والكياسة، وبين المتهجمين العصريين الذين يتكلمون فيما لا يهم؛ لأنهم لا

يهتمون، ولا يحبون أن يهتموا؛ والتفاهة من ثَمَّ غالبة على هؤلاء وهؤلاء.

فإذا تعودنا أن نشعر بما حولنا حقَّ الشعور، وأن نخلع على اليوم الحاضر ما كنا نخلعه على الزمن الماضي من سرابيل الجمال والخيال؛ استطعنا أن نقشع عن أبصارنا غشاوة الماضي، دون أن نجعل التفاهة نتيجة لازمةً لانقشاع تلك الغشاوة.

فإن كنا لا نُصدِّق بواق الواق، فلنصدق بالبيوت، وإن كنا لا نصدق بالأبطال، فلنصدق بالرجال، وإن كنا لا نصدق بالحب النادر، فلنصدق بالحب الشائع، وإن كنا لا نحلم فلنشعر، أو كنا لا نجعل الحلم واقعًا، فلنجعل الواقع حلمًا، ونحن غير مخدوعين ولا سائمين.

لماذا يكون الحاضر وقفًا على خرافات الماضي أو على أحلامه وأمانيه؟ إن زهرة هذا الربيع لا تنضر؛ لأن زهرة نضرت قبل ألف عام، وإن الإنسان ليستطيع أن يحيا اليوم وأن يشعر بالدنيا؛ لأنه تحت الشمس وفوق الأرض وبين الناس، وإن كان لا يحب الدنيا للمزايا الصحيحة أو المكذوبة التي أَحَبَّها من أجلها أسلافه وسابقوه.

تلك رسالة هذا الديوان الجديد «عابر سبيل»، وهو اسم يدل على مرماه، ولستُ أقول إنه أدَّى هذه الرسالة، ولكني أرجو أن يقنع القُرَّاء بأنها رسالة قابلة للأداء.

عباس محمود العقاد

الموضوعات

بيت يتكلم

كل بيت من البيوت التي تَعَاقب عليها السكان لو ألقيتَ عليه طَلْسَم الخيال، وأمرتَه بالكلام فتكلم؛ لانطلقت منه أسرار وأشباح يزدحم بها فضاء المكان، ولسمعت عجبًا لا تسمع الآذن أعجب منه، وليس الذي يتحدث به «البيت» في القصيدة التالية إلا قليلًا من كثير:

جميع الناس سكاني ... فهل تدرون عنواني؟
وما للناس من سرٍّ ... عدا آذان حيطاني
حديثي عَجبٌ فيه ... خفايا الإنس والجانِ
فكم قضَّيت أيامي ... بأفراح وأحزانِ!
وكم آويت من بَرٍّ ... وكم آويت من جانِ!
فإن أرضاكم سري ... فهاكم بعض إعلاني

•••

بني الإنسان لن أحفـ ... ـل في دهري بإنسانِ
ألم أعرفكمُ طرًّا ... فلم أسعد بعرفاني؟
أتاني أول السكْن [1] ... وما استوفيتُ بنياني
وما أرهفت آذانًا ... ولم آنَسْ بقُطَّانِ
وأصغيت على مهل ... فطاشت كل آذاني

---

(١) السكان.

همـــا زوجـــان، أو شـــيطا ... نـــــة لاذت بشـــــيطانِ
وقـــد عاشـــا وفيـــين ... بتقـــــدير وحســـــبانِ
وراحـــا – هكـــذا يحكـــو ... ن – فـــي رَوْح وريحـــانِ
ومـــا أبصـــرتُ مـــن هـــذا ... ولا مـــن تلـــك فـــي آنِ
ســـوى خَوَّانـــة خرقـــا ... ء تفـــري عـــرض خَـــوَّانِ
إذا مـــا ضـــحكا يومًـــا ... علـــى غـــش وبهتـــانِ
حســـدت البيـــد والأطـــلا ... ل فـــي غيظـــي وكتمـــاني
وأشـــفقت مـــن النقمـــ ... ـــة أن تهتـــز أركـــاني
وراحـــا – هكـــذا يحكـــو ... ن – فـــي رَوْح وريحـــانِ

•••

وجـــاء الســـاكن الثـــاني ... وبـــئس الســـاكن الثـــاني
يـــراه النـــاس ذا مـــال ... وأفـــــراس وغيطـــــانِ
وقـــد شـــوهني بخـــلًا ... وأعرانـــــي وأعيـــــاني
وقـــد صـــيرني ســـجنًا ... ومنـــه كـــان ســـجاني
فلمـــا طـــال بـــي عهـــدًا ... ولـــم أســـعد بهجـــرانِ
وددت لـــوَ انَّ لـــي فـــي كـــل ... جُحْـــر ألـــف ثعبـــانِ
بـــديلًا منـــه أرضـــاه ... وأحبـــوه بغفرانـــي
وأنفـــث ســـمها أو يتـــ ... ـــقي شـــري ويخشـــاني
إلـــى أن آده [٢] أجـــري ... ولـــم يظفـــر بنقصـــانِ
فـــأخلاني ولـــن أنســـى ... ســـروري يـــوم أخلانـــي

•••

---

(٢) أثقله.

وكـــان الســـاكن الثالـــ ـــث ذا عـــز وســـلطانِ
فمـــا ارتبـــتُ بـــأن العـــ ـــز والذلـــة ســـيانِ
ومـــا ألفيتـــه إلا لئيمًـــا جـــد غفـــلانِ
ضـــعيفًا يســـتر الضـــعف بطغيـــان وعـــدوانِ
وكـــم أَذْعَـــن للطـــاغي عليـــه شـــر إذعـــانِ
إذا مـــا لقـــي النـــاس بكبـــر منـــه طنَّـــانِ
فمـــا أصـــغر مـــا ألقـــا هـ منـــه بـــين جـــدراني

•••

وأمـــا رابـــع القـــوم فـــذو علـــم وتبيـــانِ
حشـــا بـــالورق اليابـــ ـــس والأخضـــر حيشـــاني
فمـــا لـــي موضـــع فـــي الأر ض أو مـــن فـــوق عمـــدانِ
ومـــا لـــي مطـــبخ أو مخـــ ـــدع أو بهـــو ضـــيفانِ
ولا زاويـــة إلا وفيهـــا الكتـــب تلقـــاني
أَبَـــى للـــنفس دعواهـــا ولـــم يســـمع لجثمـــانِ
فـــلا ســـهرة أحبـــاب ولا جلســـة نـــدمانِ
فمـــا أجهلـــه بالخلـــ ـــق ذاك العـــالم العـــاني!
أَبَـــيْنَ النـــاس يُحْتَـــاج إلـــى علـــم وبرهـــانِ؟
وهـــم عِمْيَـــان ظلمـــاء سَـــرَوا فـــي إِثْـــر عميـــانِ؟
كثيـــر لـــك يـــا إنســـا ن فـــي دنيـــاك عينـــانِ!

•••

وأمـــا الخـــامس الجـــاني فناهيـــك بشـــهوانِ
فمـــا زَوَّدنـــي إلا بأثـــداء وأعكـــانِ

وهُتَّـــــاف بألحـــــان ... وسُـــمَّار علـــى الحـــانِ
إذا أمســـــيتُ مســـاني ... بأشـــكال وألـــوانِ
علـــى الأبـــواب مـــا يرضيـــ ... ـــك مـــن حســـن وإحســـانِ
ومـــن صـــون لأســـماع ... ومـــن غـــض لأجفـــانِ
فـــلا تنظـــرهمُ ثَمَّـــ ... ـــة وانظـــر بـــين أحضـــاني
فيـــا لله كـــم فـــي الأر ... ض مـــن غـــي وغيـــانِ
وكـــم فـــي القـــوم مـــن مخـــدو ... ع آبـــاء وإخـــوانِ
وأزواج وأصـــــهار ... وخـــلان وأخـــدانِ
لـــوَ انِّـــي قلـــت مـــا أدري ... لهـــدوا كـــل أركـــاني
فـــنعم الصـــمت والحكمـــ ... ـــة يـــا صـــخري وصـــواني!

•••

وكـــم صـــاحبتُ مـــن أصـــحا ... ب آداب وأديـــــانِ
تجـــافوا وصـــمة العاصـــي ... وعـــافوا شـــهوة الزانـــي
وبـــاتوا بـــين قربـــان ... وترتيـــل لقـــرآنِ
ولـــم يأســـوا مـــن الـــدنيا ... علـــى غَـــبْن وحرمـــانِ
إذا مـــا شـــرفَتْني زمـــ ... ـــرة مـــنهم بصـــحبانِ
حســـبت الأرض تجفـــوني ... فأنســـاها وتنســـاني
وقـــالوا الجـــان لا تقـــر ... ب مـــن مجلـــس فرقـــانِ
فقـــد ألفيـــتُ بعـــض الإنـــ ... ـــس فـــي العنصـــر كالجـــانِ
ولكـــن شـــر مـــا آويـــ ... ـــت فـــي لـــؤم وعصـــيانِ
ريـــاء الخـــائن العـــادي ... علـــى أهـــل وأوطـــانِ
تَلَقَّـــــاهم بتمويـــــه ... ولاقـــــوه بإيمـــــانِ

وفـــي حجـــرة أســـراري ... وفـــي ظلمـــة أركـــاني
يبيـــع الحـــوزة الكبـــرى ... بربـــع أو ببســـتانِ
ويعطـــي الحـــق والذمـــ ... ـــة والفُتيـــا بأثمـــانِ
ويُفنـــي أمـــة تحييـــ ... ـــه وهـــو الزائـــل الفـــاني
ويمشـــي بـــين قـــتلاه ... رفيـــع الـــذكر والشـــانِ

•••

ولـــم أحمـــد مـــن الضـــيفا ... ن ضـــيفًا مثـــل فنَّـــانِ
تـــولاني بإبـــداع ... مـــن الفـــن وإتقـــانِ
وغطـــى كـــل جـــدراني ... بمنظـــور ومُـــزْدَانِ
وأوحـــى الحســـن واســـتوحا ... هـ مـــن جنـــات رضـــوانِ
فحينًـــا حســـن مكســـوًّ ... وحينًـــا حســـن عريـــانِ
بريئًـــا فـــي ســـماء الفـــ ... ـــن مـــن عبـــث وأَدْرَانِ
وفَتَّانًـــا علـــى الحاليـــ ... ـــن لكـــن أي فَتَّـــانِ
كمـــا تفتنـــك الزهـــر ... ة فـــي أعطـــاف أغصـــانِ

•••

جمـــوعٌ لســـت أُحْصِـــيهَا ... ولـــو دونـــتُ ديـــواني
ومثلـــي كـــل جـــاراتي ... ومثلـــي كـــل جيرانـــي
عرفـــتُ النـــاس أشـــتاتًا ... بـــلا عـــدٍّ وحســـبانِ
فلـــم أعـــرف أأعـــداء ... هـــم أم جمـــع أقـــرانِ؟
إذا مـــا اختلفـــوا فـــي سيـــ ... ـــمة تبـــدو وشـــغلانِ
فهـــم فـــي المـــوت أشـــباهٌ ... وفـــي ســـقم وأشـــجانِ
ومـــا مـــنهم فتـــى إلا ... بكـــى حينًـــا وأبكـــاني

مســـــاكين فـــــلا تحفـــــل ... مـــــن النـــــاس بإنســـــانِ
ولا تحســـــد فتـــــى مـــــنهم ... علـــــى بـــــأس وإمكـــــانِ
فـــــأعلاهم وأدنـــــاهم ... أمـــــام الغيـــــب صِـــــنْوَانِ

•••

نزيـــــل المنـــــزل الخـــــالي ... ألا تعـــــرف عنـــــواني؟
إذا مـــــا طفـــــتَ حوليـــــه ... فشـــــق أنـــــك تلقـــــاني
فمـــــا مـــــن منـــــزل إلا ... وفيـــــه بعـــــض ألـــــواني
تأمـــــل فـــــي نواحيـــــه ... وراقبـــــه بإمعـــــانِ
ولا يخـــــدعك صـــــمت فيـــــ ... ـــــه أو تفتـــــيح بيبـــــانِ
ولا تحســـــبه خِلْـــــوًا مـــــن ... مغـــــاليق وأكنـــــانِ
إذا مـــــا كانـــــت مستحضـــــ ... ـــــر أراوح وحـــــدثانِ
فقـــف فـــي المنـــزل الخـــالي ... وأَرْهِـــفْ سَـــمْعَ يقظـــانِ
وأغمـــــض فيـــــه أجفانـــــ ... ـــــك وانظـــــر غيـــــر وَسْـــــنَانِ
تـــــرَ الأطيـــــاف أفواجًـــــا ... وتســـــمع مـــــوج طوفـــــانِ
وتجمـــــع كـــــل مـــــا يُجمـــــ ... ـــــع مـــــن ربـــــح وخســـــرانِ
ولا يخطئـــــك تـــــاريخ ... ولا دارس أزمـــــانِ

أمام قفص الجيبون في حديقة الحيوان

القرود العليا هي: «الشمبانزي»، و«الأرانغ أتانغ»، و«الغورلا»، و«الجيبون» وهو فرع وحده في رأي كثير من النشوئيين؛ لأنه صغير الحجم مختلف التركيب بعض الاختلاف.

ومن هذه القرود العليا ما يصلح – من الوجهة الشِّعْرية – أبًا للفلاسفة

والحكماء، وهو «الشمبانزي»؛ لتأمله وسكونه واشمئزازه من الحياة!

ومنها ما يصلح أبًا لرجال المطامع والوقائع، وهو «الغورلا» لبطشه وهياجه وقوة عضله.

ولكن «الجيبون» وحده هو الذي يصلح من الوجهة الشعرية أبًا للفنانين والراقصين؛ لأنه لعوب طروب، رشيق الحركة خفيف الوثوب، يقضي الكثير من أوقاته في الرقص والمناوشة، ويحب أن يعرض للناس ألاعيبه وبدواته، وإذا صعد أو هبط في مثل لمح البصر فإنما يصعد ويهبط في حركات موزونة متعادلة، كأنما يوقعها على أنغام موسيقية لا تخطئ في مساواة الوقت ولا في مضاهاة المسافة، فإذا شَهِدْتَه فاسأل نفسك: ما بال هذا القافز الماهر قد وقف حيث هو في «سلم الرقي»، ولم يأت على درجات السلم كلها صعودًا ووثبًا في بضعة ملايين من السنين؟!

هذا سؤال، وسؤال آخر تعود فتسأله: ماذا يفيد من الصعود إن كان قد صعد؟ الطعام المطبوخ؟! هو يأكل طعامه الآن نيئًا وذلك أنفع، أو يأكله مطبوخًا على يد غيره، وذلك أدنى إلى الراحة!

أو يفيد العلم؟ قصاراه إذن أن يقول: «لست أدري»، كما يقولها الإنسان كلما واجه معضلات الوجود.

أو يفيد وزن الشعر؟ هو الآن يزن الحركة كما توزن التفاعيل والأعاريض، وغاية مسعاه إذا أتقن وزن الكلام أن تعجز يداه وقدماه عن

رشاقة الوثب ورقصات اللعب؛ لتستعيض منها بترقيص الكلمات وتوقيع المعاني وهو قاعد حسير!

أمام قفص الجيبون مجال واسع لأمثال هذه الأسئلة وأمثال هذه الموازنات:

أيُّهـذا الجيبـون أَنْعِـمْ سـلامًا ... يـا أبـا العبقـري والبهلـوان
كيـف يرضـى لـك البنـون مقامـا ... مُزْرِيًـا فـي حديقـة الحيـوان؟

•••

العـب الآن وانتظـر بعـد حقْبـا ... تـرقَ فـي «سـلم الرقـي» وتعـلُ
كيـف لـم تصـعد السـلالم وثبًـا ... أيهـا الصـاعد الـذي لا يمـلُ

•••

يـا عميـد الفنـون صـبرًا ومهـلًا ... وارضَ حـظ الهتـاف والتهليـل
مرحبًـا مرحبًـا وأهـلًا وسـهلًا ... والهـدايا مـا بـين لـب وفـول

•••

انتظـر يـا صـديق شـيئًا فشـيئًا ... تطـبخ القـوت كلـه بيـديكا
غيـر إنـي إخـال مـا كـان نيئًـا ... منـه أجـدى في الحالتين عليكا

•••

انتظرْ يا صديق مليون عام ... أو ملايـين لسـتُ والله أدري
إن تـدانيتَ بعـدها مـن مقـامي ... فقُصَارى المطاف أن لستَ تدري

•••

واصـطبرْ إن عنـاك نشـر ونظـم ... سـوف تتلـو نثـرًا وتـنظم شـعرًا
وغـدًا يطفـر الخيـال ويسـمو ... والـذراعان لا تطيقـان طفـرًا

•••

وجمـــال الوجـــوه ســـوف تـــراه ... في المرايا بعد الطواف الطويلِ
سوف تحلو في ناظريك حلاه ... فتَهيَّـــأْ للضـــم والتقبيـــلِ!

•••

وإذا مـــا درســـتَ أوزان رقـــص ... بعـد لأي فـالرقص فيـك انطبـاعُ
هل تنال الكمال من بعد نقص ... إن أَقَلَّتْـــك فكـــرة لا ذراعُ

•••

قفـصٌ أنـت فيـه أرحـب جـدًّا ... مـن فضـاء نُقـيم فيـه أُسَـارَى
قـد ضـللنا فيـه وهيهـات نُهْـدَى ... ونجـوم السـماء فيـه حَيَـارَى

•••

انتظرْ سوف تفهم الشيء باسمٍ ... بعـد رسـمٍ وغـابر بعـد حـالِ
فـإذا مـا طلبـتَ بـاطن فهـم ... يـا صـديقي طلبـتَ أي محـالِ

•••

أيـن بـالأمس كنـتَ يـوم ابتـدأنا ... والتقينـا بـآدم فـي الطريـقِ
قـد بلغنـا فـأين تبلـغ أينـا ... حين تمضي وراءنا يا صديقي؟!

•••

الهُ والعب واضحك كما شئتَ منا ... أنـت طفـل الزمـان والطفـل غِـرٌّ
سوف تبكي حزنًا وتضحك حزنًا ... حـين يمضـي دهـر ويقبـل دهـرٌ

عتب على الجيبون

ذهب بعض الأدباء إلى حديقة الحيوان بعد نشر القصيدة السابقة، وقصدوا إلى قفص «الجيبون»؛ فإذا هو في تلك الساعة كاسف البال صادِف «المزاج» عن الرقص واللعب؛ فجاءوا إلى صاحب الديوان يطالبونه بتعويض أجر الدخول إلى الحديقة، كأنه هو الذي يعرض

الجيبون ويتكفل للمتفرجين بتمثيل ألاعيبه، وفي الأبيات التالية رجاء لذلك الفنان ألا يُكذِّب شهادته، ولا يخيب ظنون الأدباء في مدحه وتقريظه:

أيهـــا الجيبـــون لا تفـــ ـــضح تقـــاريظي وشـــكرِي
أنـــت بعـــد اليـــوم محســـو ب علـــى نقـــدي وشِـــعْرِي
أنـــت إن لـــم تحســـن الرقـــ ـــص فمـــن يحســـن عُـــذْرِي؟
أنـــت إن قصـــرتَ قـــالوا شـــاعر بـــالزور يُطْـــرِي
مـــا لـــذا العقـــاد والتقريـــ ـــد و«التقـــريظ» يُغْـــرِي
إنـــه يهـــرف بالمـــد ح ولكـــن لـــيس يَـــدْرِي
فـــاملأ الأقفـــاص يـــا جيـــ ـــبون طفـــرًا أي طَفْـــرِ
وقـــل: العقـــاد لا يخـــ ـــطئ فـــي تعريـــف قـــدرِ

قِرْشٌ مَعْقُوْل

إن أحبـوا القـرش لـم يجـدوا عجبًـا فـي حبـه الخطـرِ
فـإذا مـا الطفـل هـام بـه جعلـوه طرفـة السـمرِ
يـا محبـي القـرش وَيْحَكُـم هـل سـمعتم أصـدق الخبـرِ؟
هـل علمـتم فـي طـرائفكم أي قـرش بالهيـام حـرِ؟
ذاك قـرش الطفـل نضـحك مـن حبـه إيـاه فـي الصـغرِ
وهـو أولـى مـن قروشـكم كلهـا بالحـب والسـهرِ
هـو «حـقٌّ» عنـده جَلَـل حاضـر الميعـاد والأثـرِ
ثمـن الحلـوى يَلـذُّ بهـا وجمـال الحسـن والنظـرِ
وأفـانين الملاعـب لـم تخـلُ مـن نفـعٍ ومـن ثمـرِ

وهـــو وَهْـــمٌ فـــي خـــزائنكم ... وخيـــــال كـــــاذب الـــــوطرِ
وســـــجين ثـــــم مُـــــدَّخَر ... لرجـــــاء غيـــــر مـــــدخرِ
لا تعيبـــوا الطفـــل وانتفعـــوا ... منـــــه بالآيـــــات والعِبَـــــرِ
الحيـــــاة الحـــــق ناضـــــرة ... فـــاقطفوا مـــن غصـــنها النضـــرِ

وَجْهَات الدكاكين

هَـذِي المطـارف صـفِّفتْ عجبًـا ... فـــانظرْ وراء ســـتارها عجبـــا
كـــم منظـــر تجلـــوه مبتعـــدًا ... أو منظـــر تجلـــوه مقتربـــا
إن الـــدكاكين التـــي عرضـــتْ ... تلـك المطـارف تعـرض النُّوبـا
تحكـــي الفواجـــع كلهـــن لنـــا ... صـــدقًا ولا تحكـــي لنـــا كـــذبا
هـــذا الســـتار فـــنحِّ جانبـــه ... تجـــد القضـــاء يهيـــئ اللعبـــا

•••

انظـــرْ إلـــى النَسَّـــاج منحنيًـــا ... يَطـــوي بيـــاض نهـــاره دأبـــا
وانظـر إلـى السمسـار مقتصـدًا ... أو طامعًـا فـي الـربح مُغتصـبا
وانظـر إلـى التجـار مـا عرفـوا ... غيـــر النضـــار وَعُـــدَّهُ تعبـــا
وانظر ترَ الشـارين قـد سـمحوا ... بالمـــال يَقطـــر مـــن دم صـــببا
وانظـــر تـــرَ الحســـناء لابســـة ... لـــم تلـتمس غيـر الهـوى أَرَبَـا
لـو تعـرف الحسـناء مـا صـنعت ... شـــقتْ جيـــوب ردائهـــا رَهَبَـــا

•••

هـــذا زمـــان العـــرض فـــانتظروا ... عرضًـــا يرينـــا الويـــل والحربـــا
بَهَـــرَ النفـــوس بكـــل ظـــاهرة ... وطـوى جمـال الـنفس محتجبـا
فالويـــل للعـــين التـــي امـــتلأت ... والويـــل للقلـــب الـــذي نضـــبا

أصداء الشارع

بنـــو جِرْجـــا ينـــادون ... علـــى تفـــاح أمريكـــا
وإســـرائيل لا يـــألو ... ك تَعْرِيبًـــا وتتريكـــا
وبتراكـــي إلـــى الجُـــودِ ... علـــى الإســـلام يـــدعوكا
وفـــي كَفَّيْـــه أوراق ... بكســـب المـــال تُغريكـــا
وأقـــزامُ مـــن اليابـــا ... ن بالفصـــحى تُحيِّيكـــا
وإن لا تكُـــنِ الفصـــحى ... فبالإيمـــاء تغنيكـــا
قريـــبٌ كلهـــا الـــدنيا ... كرَجْـــعِ الصـــوت مـــن فِيكَـــا
دعـــا الـــداعي فَلَبَّـــوْه ... طغـــاةً أو صـــعاليكا
إذا ناديـــتَ يـــا دِينَـــا ... رُ مـــن ذا لا يلبيكـــا
فمـــا فـــي النـــاس هـــاذاك ... ولا فـــي الأرض هاتيكـــا

عصر السرعة (١)

طـــار فـــي الـــذَّرَى ... هـــام فـــي الســـهول
مُســـرع الخُطَـــىْ ... حيثمـــا يجـــول
مـــا لـــه عَـــدَا ... عـــدوةَ الوعـــول
مـــا لـــه ســـطا ... ســـطوةَ الســـيول
فـــي صـــعوده ... يشـــبه النـــزول

طَيْفٌ من حديد

الطيف أدخلُ شيء في باب الشعر والأحلام.

والسيارة أدخلُ شيء في باب الصناعة والحركة اليومية.

ولكن السيارة قد تتسرب بحديدها وضوضائها إلى عالم الأحلام إذا نظرت إليها في حالة من الحالات.

وإلا فما هو الطيف؟!

هو شيء يُرى ولا يُلمس، وشيء يتحرك ولا يُسمع لحركته صدى، وشيء يُحيط به البعد والظلام.

فانظر إلى سيارة يَسري مصباحها على البعد في ليلة مظلمة، وأنت ترى الطيف الذي يتحرك ولا يُسمع حراكه، وتلمحه ولا تكاد تتثبت من مرآه.

ذاك بُعـــــدٌ وانســـــياب ... وظـــــلام وانســـــجام
أي شـــيء ثَـــم يجـــري؟ ... هـــو طيـــفٌ لا كـــلام

•••

أي شـــيء ذاك إلا الـــ ... ـــطَّيْف يَســـري فـــي منـــام
يَطـــرق العـــين وهيـــ ... ـــهات[٣] بالســـمع يُـــرَام

•••

تلـــك ســـرعة الـــ ... ـــهارب العَجـــول
تلـــك ســـرعة الـــ ... ـــحائر المَلُـــول
تلـــك ســـرعة الـــ ... آثـــم الخجـــول
أيـــن ســـرعة الـــ ... ـــسَّعْي والوصـــول

عصر السرعة (٢)

طاروا وداروا مسرعين في الثرى ... يركـب مـنهم رأسـه مـن ركبـا

---

(٣) هيهات، أي: بَعُدَ جدًّا.

لـو لـم يكـن هـذا الزمـان آفـةً ... مـا اتخـذوا السـرعة منـه مهربـا

عسكري المرور

مـــتحكمٌ فـــي الـــراكبين ... ومـــا لـــه أبـــدًا ركوبـــة
لهـــم المَثُوبَـــة مـــن بَنَـــا ... نـــك حـــين تـــأمر والعقوبـــة
مُـرْ مـا بـدا لـك فـي الطريـ ... ـق ورُضْ علـى مهـل شـعوبه
أنـــا ثـــائر أبـــدًا ومـــا ... فـــي ثـــورتي أبـــدًا صـــعوبة
أنـــا راكـــب رِجْلِـــي فـــلا ... أمـــرٌ علـــيَّ ولا ضـــريبة
وكـــذاك راكـــب رأســـه ... فـــي هـــذه الـــدنيا العجيبـــة

•••

هـــو طيـــف مـــن حديـــد ... هـــو طيـــف مـــن ضِـــرام
هـــو ســـيارة ركـــب ... خطـــرت فـــوق رَغَـــام
ظهـــرت، غابـــت، تـــوارت ... غيـــر مصـــباح يُشـــام
وأراهـــا نقَّلَتْنِـــي ... وهـــي للنقـــل لـــزام
ســـهوة مـــن عـــالم اليقـــ ... ـــظى إلـــى دنيـــا النيـــام

الفنادق (١)

فنـــادق تشـــبه الـــدنيا لِقَـــاءً ... وتفرقـــةً وإن قَصُـــر المقـــامُ
تقـول لكـل مـن وفـدوا عليهـا ... بـأن العـيش نهـب واغتنـامُ
فمـن تلقـاه فـي يـوم صـباحًا ... تفارقـــه إذا جـــنَّ الظـــلامُ
ورُبَّ عصـية فـي الحـب باتـت ... وأقـرب مـن بـدايتها الختـامُ
تقـول لقلبهـا مـا الحـب إلا ... أمـان حيـث يـزدحم الزحـامُ
فـــلا ســـر هنالـــك مســـتباح ... ولا شـــوق هنالـــك أو غـــرامُ

•••

منـازل كـل مـا فيهـا انسـجام! منـازل كـل مـا فيهـا انقسـامُ!
بنوهـا أسـرةٌ مـا شـذَّ فيهـا مقـام أو منـام أو طعـامُ
وما افترقت شعوب الأرض يومًا كما افترقوا إذا انصرفوا وهاموا
ففـيهم يَافِـثٌ حينًـا وشـيثٌ وفـيهم تـارة حـامٌ وسـامُ

الفنادق (٢)

حَسـبُ الفنـادق أن تـذكرنا مـرَّ الفَنَـاء بكـل مـن يحيـا
تبـدو الوجـوه لعـين عابرهـا وتغيـب عنـه كأنهـا رؤيـا
فـي كـل توديـع وتفرقـة شـيء مـن التوديـع للـدنيا

بعد صلاة الجمعة

علـى الوجـوه سِـيمَةُ القلـوب فانظر إلى المسجد من قريبِ
وقِـفْ لديـه وَقْفَـةَ اللبيـب في ظُهْر يوم الجمعة المحبوبِ
إنـك فـي حشـد هنـا عجيـبِ

•••

هـذا الـذي يمشـي ألا تـراه كأنمـا قـد حملـت يـداهُ
سـفتجة[٤] صـاحبها الإلـه ذاك هـو الـدَّيْن وقـد وفـاهُ
فلـيس للـدائن بـالمطلوب

•••

وذلـك المبتسـم الرصـين كأنـه بسِـرِّه ضـنينُ
أصـغى إليـه سـامع أمـين فَهْـو إذا صـلى كمـن يكـونُ
فـي خَلْـوَة النجـوى مـع الحبيـب

•••

(٤) السفتجة: هي ورقة التحويل المالي.

وانظـر إلـى صـاحبنا المختـال فـي حُلَّـة ضـافية الأذيـال
أكـان فـي حضـرة ذي الجـلال أم كـان فـي عـرض أو احتفـال
يُزهـى علـى المحـروم والمسـلوب

•••

وكـم مُصَـلٍّ خافِـت الـدعاء كأنمـا نـصَّ إلـى السـماءِ
رسـالة فـي عـالم الخفـاء فـلا ينـي يبـدو لعـين الرائـي
كـالمترجِّي أوبـة المكتـوب

•••

ورُبَّ شيخ من ذوي الخَلَاقِ[٥] فرحـان بـالجمع وبـالتلاقي
كأنـه التلميـذ فـي انطـلاقِ بـين تلاميـذ لـه رفـاقِ
عـادوا إليـه عـودة الغريـبِ

•••

تجمعـوا فـي بيتـه تعـالى وافترقـوا فـي جمعهـم أحـوالا
وهـل نسـوا فـي أرضـه النضـالا فيحتـويهم بيتـه أمثـالا
علـى اخـتلاف السَـمْت والنصـيبِ

•••

لعلهـم صـلوا لـه ارتجـالا فـاختلفوا مـا بيـنهم سـؤالا
فلـو أجـاب السـائلين حـالا صـب علـى رءوسـهم وَبَـالا
وألحـق المخطـئ بالمصـيبِ

قطار عابر

نامـت القريـة وانسـاب القطـار هـو فـي موعـده بـين الـديار

---

(٥) اخير الوافر.

يعـــرف الســـاعة لا يخطئهـــا ... هكـذا الجنـة فـي وقـت المـزار
رُبَّ ســـارٍ بـــات فـــي أركانـــه ... ودَّ لـــو يَســـبق ســـبَّاق البخـــار
يحســـب الهَـمَّ الـذي هـمَّ بـه ... دارت الأرض عليــه حيــث دار
ودَّ لــو يســأل هاتيــك القــرى ... مـا لقـوم لـم يسـيروا حيـث سـار
وهـو والركـب الـذي مـن حولـه ... فـي اشـتياق وانطـلاق وانتظـار
عنـد مـن يُـدلج فـي تلـك القـرى ... صـور منسـية فـي اسـم القطـار
كـل مـا يبقـى لـه مـن ذكـره ... ضَـجَّة مـن حولهـا ثـار غبـار

•••

فـتش الأسـماء عـن أسـرارها ... واسأل الأحرف عما في القرار
تجـد «الأرصـاد» حقًّـا مـاثلًا ... وَهْي في الماضي ضلال وصَغار

صورة الحي في الأُذُن

مثـل الحـي فـي معـالم سـمعٍ ... كـالتي لا تـزال للعـين تظهـرْ
مـن وراء الجـدار والعـين وَسْـنَى ... معرض الحي في سجل مُصَوَّرْ
كـل صـوت يطيـف بالسـمع منـه ... ثابـت فـي «اسـطوانة» تتكـررْ
دارج بعـــد دارج وحـــديث ... يخفت الهمس فيه حينًا ويجهرْ
ومغـــنٍّ إذا تَغَنَّـــى رويـــدًا ... قطَّـع الصـوت بالسـلام وصـفَّرْ
وأقاويـل لسـت تعلـم منهـا ... غيـر أصـدائها التـي لا تغيـرْ
ومنـــادٍ بمـــا يبيـــع وحيـــدٌ ... خـالَسَ الرفقـة النيـام وبكَّـرْ
وبشـير الـدجاج صـاح فلَبَّـا ... هـ نظيـر غـلا فصـال فأنـذرْ
ودواليـب خلتهـا وهـي تسـعى ... خرجـت فـي نعاسـها تتعثـرْ
حُلَّـــة بعـــد حُلَّـــة تتـــراءى ... في صداها ومعشر بعد معشرْ
إنـــه منظـــر يفصـــله الـــ ... ـسَّمع ويا رُبَّ مسمع فيه منظرْ

الدينار في طريقه المرسوم

لمـــا بَـــدَا الـــدينار مـــن ... بـــاب الخزانـــة فـــي الســـماء
نـــادى الموكَّـــل ثَـــمَّ بالـــ ... ـــن إلـــى فتـــى جـــمِّ الشـــقاء
قـــال: انطلـــق فـــي الخافقيـــ ... ـــء وراح مقطـــوع الكســـاء
قـــد بـــات ممنـــوع الغـــذا ... بعـــض الســـعادة والرجـــاء
فاذهـــب إليـــه ومَنِّـــهِ ...

•••

فأجابـــه الـــدينار وهـــوَ ... ـــو يكـــاد يجهـــش بالبكـــاء
أنـــا لســـت أعرفـــه فدعـــ ... ـــني أســـتطيب هنـــا البقـــاء
ســـيطول بحثـــي عنـــه فـــي ... وادي الخمـــول ولا لقـــاء

•••

قـــال الموكَّـــل ثَـــمَّ بالـــ ... أرزاق حســـبك مـــن ريـــاء
لـــن يـــألف المـــال الفقيـــ ... ـــرَ ولـــن يحيـــد عـــن الثـــراء
مـــا شـــئت يـــا دينـــار فامـــ ... ـــضِ كمـــا تشـــاء لمـــن تشـــاء
فاســـتقبل الـــدينارُ وجـــ ... ـــهته وهَـــمَّ بـــلا ونـــاء
ومضـــى إلـــى حيـــث المعـــا ... لـــم واضـــحات والضـــياء
حيـــث الـــدنانير الســـوا ... بـــق قـــد رســـمن لـــه الفضـــاء
لـــيس الطريـــق علـــى اقتحـــا ... م كـــالطريق علـــى اهتـــداء

المَصْرف «البنك»

شِـــــبْرَان مـــــن ذاك البنـــــاء
بينـــي وبـــين المـــال والـــدنيا العريضـــة والثـــراء

ليســـــت بأقصـــــى فـــــي الرجـــــاء
من حفرة المدفون في شبرين في جوف العراء
كـلا! ولا أدنـى علـى قـرب المـزار لمـن يشـاء
أعرفـــــــت آمـــــــاد الســـــــماء؟!

•••

فـــــي سِـــــكَّتي أبـــــدًا ومـــــا
مــن ســكة أبــدًا إليــه، ولســت أُلغــز عنــدما
أصـــــف الطريـــــق أو الحمـــــى
انظــر بعينيــك البنــاء ســما وطــال وأظلمــا
واســأل: أهــذا مصــرفٌ ملئــوا جوانبــه دمــا؟!
تجـــــد الصـــــواب مجســـــما

•••

فيـــــه دم لا شـــــك فيـــــه
فــي كــل طِـرْس أو كتــاب أو ســجل يحتويــه
ودم المقتـــــــر والســـــــفيه
يجـري هنـاك وأنـت تحسـبه مـن الـورق الرفيـه
تغليـه كالـدم فـي العـروق سـرى وكالـدم نتقيـه
وسَـــــل المُـــــدَلِّس والنزيـــــه!

•••

سَـــــلْنِي فلـــــم أكُ طالبًـــــا
ورقًـا هنـاك علـى الرفـوف أنـال منـه جانبًـا
وأعـــــد منـــــه حاســـــبًا

إلا لأوراق أراهـــا قارئًـــا أو كاتبًـــا
ولمـا تجـيش بـه الخـواطر حاضـرًا أو غائبًـا
ودع الحســـــود الغاضـــــبا

كَوَّاء الثياب ليلة الأحد

لا تَـــــنَمْ لا تَـــــنَمْ إنهـــــم ســـــاهرون
ســـهروا فـــي الظَّلَـــم أو غفـــوا يحلمـــون
أنـــت فـــيهمُ حكـــم وهـــمُ ينظـــرون
فـــي غـــد يلبســـون! فـــي غـــد يمرحـــون

•••

كـــم إهـــاب صـــقيل يـــا لـــه مـــن أهـــاب
وقَـــوَام نبيـــل فـــي انتظـــار الثيـــاب
وحبيـــب جميـــل يزدهـــي بالشـــباب
كلهـــم يحلمـــون! فـــي غـــد يلبســـون

•••

أســـلَموك الحُلَـــلَ كـــالربيع الجديـــد
فـــي احمـــرار الخجـــل أو صـــفاء النهـــود
تُشـــتهى بالقُبـــل لا بمـــسِّ الحديـــد
يـــا لهـــا مـــن فنـــون بهجـــة للعيـــون!

•••

طُويـــت كـــالعجين فـــاطوِ فيهـــا الجمـــال
لمســـة بـــاليمين عطفـــة بالشـــمال
والعجـــين الثَّمـــين فـــي اســـتواء «المثـــال»
فيـــه ماســـت غصـــون مـــن جناهـــا الجنـــون

•••

زِدْ نصـــيب الحبيـــب مـــن هـــوى وابتســـام

بالكســـــاء القشـــــيب ... رفَّ حـــــول القـــــوام
لـــك فـــيهم نصـــيب ... غيـــر كـــيّ الغـــرام
عنـــد بـــرح الشـــجون ... هُـــمْ هُـــمُ المكتـــوون

•••

الضـــــرام اتَّقَـــــد ... فـــي المكـــاوي الشـــداد
هـــل خبـــا أو بـــرد ... أو عـــلاه الرمـــاد؟
ذاك يـــوم الأحـــد ... أيـــن منـــك الرقـــاد؟!
إن قضـــيت الـــديون ... كـــل نـــار تهـــون

•••

أنـــا مُصْـــغ إليـــك ... فـــي الظـــلام الطويـــل
ســـامع مـــن يـــديك ... كـــل ضـــرب ثقيـــل
نـــاظر موقـــديك ... منـــذ غـــاب الأصـــيل
بـــين غمـــض الجفـــون ... واطِّـــراد الســـكون

•••

يـــا أخـــا الفـــن لا ... تَـــدْعُها بالثيـــاب
وارقَ منهـــا إلـــى ... مـــا احتـــوت مـــن شـــباب
وجمـــالٍ حـــلا ... وحيـــاة عجـــاب
وتفلســـف علـــى ... مـــا احتـــوت مـــن رقـــون[٦]
تَحْـــيَ بـــين الألـــى ... خلفهـــا يختفـــون
تلقهـــم يهمســـون ... وهـــمُ صـــامتون
والليـــالي تهـــون ... والكَـــرَى والمنـــون

بابل الساعة الثامنة

في بعض الأحياء يمنع الشرطة نداء الباعة قبل الساعة الثامنة؛

---

(٦) الترقين: التزيين، والرقون: الخضاب.

فيجتمع الباعة عند مداخل تلك الأحياء صامتين متأهبين، حتى إذا وافت الساعة المحدودة، اندفعوا دفعة واحدة ينادون على السلع، كلٌّ وما يبيع، وهي خليط لا تأتلف أصداؤه ولا أشياؤه، فهي بابل لأمراء!

قابل بين بابل هذه وبابل الفجر الذي تختلط فيه أصداء الطبيعة مثل هذا الاختلاط، ولكنها تنسجم في معناها المبشر باستئناف الحياة وعودة النور، وأن هذه المقابلات جميعًا لَحقيقة في الشعر ببعض الإصغاء:

كم بابل في الساعة الثامنةْ ... تثور في حلتنا الساكنةْ!
خفية الأصداء لا تنجلي ... ولم تكن عجماء أو واهنةْ
شَتَّى فإن أفردتها لم تكد ... تبين منها لفظة بائنةْ
كأنما تصغي إلى راطنٍ ... يُتَعْتِعُ الأحرف أو راطنةْ
فلفظة ينطقها دونها ... عشرون في حلقومه قاطنةْ
واسم يليه اسم وما جَمَّعتْ ... قرينة بينهما قارنةْ
إن بعدت عن سامع أو دنت ... لم تُدْنِها أوصافها المائنةْ
البرتقال الحلو والفحم والـ ... أطباق والريحانة الفاتنةْ
والبيض والأثواب والتبغ والـ ... أخشاب والزينة الزائنةْ
وأشربات العصر في حينها ... مثلوجة إن شئت أو ساخنةْ
والناي والأرغن تتلوهما ... ربابة كالهِرَةِ الداجنةْ
ومَنْ يُناديها ويدعو بها ... إليه في زوبعة زابنةْ [٧]
مخلوطة ممزوجة كلها ... معجونة في لفظها عاجنةْ

---

(٧) دافعة.

فـي بابـل الباعـة تلـك التـي ... نســـمعها لا بابـــل الحائنـــةْ
يحبســـها الشـــرطي حتـــى إذا ... حانـــت لديـــه الســـاعة الثامنـــةْ
أطلقهـــا فانطلقـــت فجـــأة ... علـى الحمـى كالغـارة الكامنـةْ
تجـــدُّ أقصـــى الجـــد لكنهـــا ... في السـمع كالمجنونـة الماجنـةْ

•••

إذا تمـادى النـوم بـي ضـحوة ... أو أرَّقتنـــي خطـــرة رائنـــةْ
أيقظنـــي مـــن بـــابلي هـــذه ... نفيـر حـرب فـي القـرى الآمنـةْ

•••

يـا بعـدها عـن بابـل فـي الـدجى ... أســـمعها شـــادية لاحنـــةْ
أسـمع عـرس الفجـر فـي دَوْحَـة ... ملتفـــة أغصـــانها شـــاجنةْ
وكـــل ذي ســـمع ســـليمانها ... إن غـــردت أطيارهـــا الواكنـــةْ
شَـتَّى وفَحْـوَى قولهـا واحـدٌ ... لكـــل أذن نحوهـــا آذنـــةْ[٨]
بُشْـــرَى لنـــا بُشْـــرَى لآفاقنـــا ... عـادت إلينـا شمسـنا الظاعنـةْ!

•••

يـا بابـل البشـرى أغيثي الكَـرَى ... مـــن بابـــل الملعونـــة اللاعنـــةْ
هَبِيـــه أنـــت اليقظـــات التـــي ... تُشْـبِه أحـلام الـدُّجَى الحاضـنةْ
لا تُســـلميه لـــوغى بابـــل ... مغبونـــة فـــي ســـعيها غابنـــةْ
مـن صـرخة الحاجـة أصـداؤها ... ومـــن لجـــاج المهنـــة الماهنـــةْ
لا بائعًـــا صـــانت ولا شـــاريًا ... كانـــت لـــه عـــن حاجـــة ضـــائنةْ

•••

يا بابل البُشْرَى اسْلَمِي واغنمي ... وجنبينـــا الذلـــة الشـــائنةْ

---

(٨) أذن له وإليه: استمع.

ودِدْتُ لـــوَ انَّ بنـــي آدم تعلمـــوا حكمتـــك الباطنـــةْ
مـا احتجـتُ قـط إلـى كـاهن يـــوحي بمعناهـــا ولا كاهنـــةْ

وليمة المَأتَم

أعـــدوا الموائـــد واســـتقبلوا ولـــم يـــرَ صـــاحبه المنـــزلُ
فـــأين عـــريس بـــه يحفلـــون وأيـــن عـــريس بهـــم يَحفـــلُ؟
طـــواه الرَّغَـــام وغطـــى عليـــه صـــفيح المَفَـــاوِز والجنـــدلُ
ومـا حفـل البيـت مـن يـأكلو ن لـــولا فَـــم بـــات لا يأكـــلُ

•••

ومـن قبـل ذاك أعـدوا الطعـام وفـي الـنفس هَـمٌّ لهـا مثقـلُ
إذا مـا تنـاجوا فصـوت خفـيض وإن عملـــوا ففَـــم مقفـــلُ
ولا مـــن يُغنِّـــي كمـــا يفعلـــون إذا أولـــم القـــوم أو أفضـــلوا
ومـا حمـد الطفـل تلـك الوفـود إذا أبطـــأ القـــوم أو عَجَّلُـــوا
فمـــا مـــنهمُ مـــازِحٌ باســـمٌ ومـــا مـــنهمُ لاعـــب مقبـــلُ
ولا للمضـــــيفين زاد هنـــــا ك إلا وأَطْيَبُـــــه حَنْظَـــــلُ
ومـــا بـــين ذلـــك إلَّا النَشِـــيج ودمـــع علـــى خِلْسَـــة مرســـلُ
ثقيـل علـى الحـزن أكـل الطعـام ومَـــنْ يَشْـــتَهِي أكلـــه أثقـــلُ
فيـــا أيهـــا النـــاس! لا تُولِمُـــوا علـــى مَيِّـــتٍ واحزنـــوا واعقلـــوا!
فليســـت مجاملـــة الـــراحلين إذا انقطـــع الـــزاد أن تـــأكلوا

عند تمثال

وقـــف الطفـــل وقفـــة التفكيـــر عنـــد تمثـــال عـــالم مشـــهور
ســـائلًا أمـــه وقـــد هَالَـــه مـــا هـال مـن ذلـك الجمـاد الجهيـر

فأجابتـــه ذاك طفـــلٌ كبيـــر أتقـن الـدرس فـي كبـار الأمـور
قـد أتـوه بهـذه اللعبـة الكبـ ـرى تُسَـلِّيه فـي ظـلام القبـور
أفترضـــى مثالـــه؟ قـــال لا يـــا أم إنـــي أراه غيـــر جـــدير
لا أرى فيـه مَسْـحَةً مـن جمـال تتجلـى أو نفحـة مـن سـرور

سلع الدكاكين في يوم البطالة

بشيء من التخيل يستطيع الإنسان أن يسمع سلع الدكاكين في أيام البطالة تشكو الحبس والركود، وتود أن تبرز لتُعرض على الناس وتُباع، ولا تُفِضِّل الراحة والأمان على ما يصيبها من البِلَى والتمزيق بعد انتقالها إلى الشراة، كما أن الجنين في عالم الغيب لا يفضل أمان الغيب على مضانك الحياة وآلامها، ولذلك تظهر الأجنة ألوفًا بعد ألوف إلى هذا المعترك الأليم:

تركوهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا
مقفـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــرات
مُغلقَـــــــــــــــات مُحكمَـــــــــــــــات
كـل أبـواب الـدكاكين علـى كـل الجهـات
أهملوهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا
يـــــــوم عيـــــــد عيـــــــدوه
ومضـــــــوا فـــــــي الخلـــــــوات

•••

«البـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــدار!»
«مـــــا لنـــــا اليـــــوم قـــــرار!»

أي صـــــوت ذاك يـــــدعو النـــــا
س مـــــن خلـــــف الجـــــدار
أدركوهـــــــــــــــــــــــا
أطلقوهـــــــــــــــــــــــا
ذاك صـــــوت الســـــلع المحبـــــو
س فـــــي الظلمـــــة ثـــــار
فـــــــــي الرفـــــــــوف
تحـــــت أطبـــــاق الســـــقوف
المَـــــدَى طـــــال بنـــــا
بـــــين قعـــــود ووقـــــوف
أطلقونـــــــــــــــــــــــا
أرســـــــــــــــــــــــلونا
بـــــين أشـــــتات مـــــن الشـــــارين
نســـــــــعى ونطـــــــــوف

•••

ســـــــــوف نَبْلَـــــــــى
يـــــوم أن نُبـــــذل بـــــذلا
أي نعم، لم نَسْهُ عن ذاك ولم نجهله جهلا
غيـــــــــر أنَّـــــــــا
قـــــــد وددنـــــــا
أن نرى العيش وإن لم يكُ وِرْدُ العيش سهلا

•••

كـــــــــــــــــــــــــــالجَنِين

وهـــــو فـــــي الغيـــــب ســـــجين

إن تحـــــــــــــذره أذى الـــــــــــد

نيـــــــا وآفـــــــات الســـــــنين

قـــــــــــــال هيـــــــــــــا

حيـــــــــــث أحيـــــــــــا

ذاك خيـــر مـــن أمـــان الغيـــب والغيـــب أمـــين

•••

أطلقونـــــــــــــــــــــــــــا

وإلـــــــى الـــــــدنيا خـــــــذونا

حيـــث نلقـــي الآكلـــين الشـــاربين اللابســـينا

ذاك خيـــــــــــــــــــــــــــر

وهـــــــــــــو ضَـــــــــــــيْر

مـــن رفـــوف مُظلِمَـــات يـــوم عيـــد تحتوينـــا

المنازل في الصيف والشتاء

يـــا حُسْـــنَ ذاك المنـــزلِ كالضـــاحك المتهلـــلِ

يَـــروي الظـــلام بمنهـــل مـــن نـــوره كالجـــدولِ

مُتَكَشِّـــفًا عـــن ســـره عريـــان للمتطفـــلِ

الصـــيف عَلَّمـــه الطـــلا قـــة كالشـــباب المُقْبِـــلِ

فكأنـــه بعـــض الفضـــا ء الواســـع المسترســـلِ

لـــم ينفصـــل عنـــه ولـــم يُحجَـــب بسِـــتْرٍ مُسْـــبَلِ

مُـــوفٍ علـــى آفاقـــه وعلـــى الكواكـــب مـــن عـــلِ

ســـاري الطريـــق أمامـــه عرضًـــا، كـــرب المنـــزلِ

والمستقر به شبيه العابر المُتَنَقِّلِ
هذا وذاك كلاهما في ساحة لم تُقْفَلِ

•••

عَرِّجْ عليه هناك في ليل الشتاء الأَلْيَلِ
يلقى المطيف كأنه وجه المُشِيح المُجْفِلِ
حَذَرًا على أسراره مُتكتِّمًا لا ينجلي
هَرِمًا يخاف ويتقي طَيْشَ الشباب الأولِ
صد الفضاء كأنه من دونه في معقلِ
وجفا المنازل حوله فكأنه في معزلِ

•••

خَفَّ الربيع به وأثـ ـقله الشتاء بجندلِ
وأدار حوليه نِطَا قا من قضاء مُنزَلِ
فكأن عابره إذا أمسى طَرِيدَةَ هيكلِ
متفلتًا من طارديـ ـه مُحاذِرًا ممن يلي

•••

ما في الشتاء رفاهة للعابر المُتأمِّلِ
إلا تخيُّل موئلٍ خلف الشعاع المرسلِ
فيه سعادة مُسْتَهَا م أو هناءة مصطلي

الطريق في الصباح

بدأت دولة الطريق وانتهت دولة البيوت
ضاق بالكوكب المُفِيق عالم الليل والسكوت

•••

حيثُ يممت مسرعٌ يتلقاه مسرعون
ما لهم؟ أين أزمعوا؟ ويحهم مَمَّ يهربون؟

•••

كلمـــا غـــاب مُجْفِـــل ... طلـــع اثنـــان فـــي هجـــوم
ذاك ركـــــب مضـــــلل ... حـــائر حيثمـــا يحـــوم

•••

حـــائر حيـــرة الأُلَـــى ... سُـــحروا ثـــم أُطلقـــوا
وضـــح الصـــبح وانجلـــى ... فهـــو بالســـحر أخلـــق

•••

لا أرى فـــرد ســـاحر ... فيـــك يـــا صـــبح بـــل ألـــوف
كـــم أســـير وآســـر ... والرُّقـــى بيـــنهم صـــنوف[٩]

•••

ذلـــك الطفـــل مـــا عَنَـــاه؟ ... جـــدول الضـــرب فـــي كتـــاب!
ذلـــك الشـــيخ مـــا مُنَـــاه؟ ... لقمـــة كلهـــا عـــذاب

•••

والفتـــى أيـــن قِبلـــةٌ ... نحوهـــا يُرسِـــل العنـــان؟
غايـــة الأمـــر قُبلـــة ... بعـــدها يمســـح الـــدهان

•••

خـــذهم أيهـــا الطريـــقْ ... فـــي غـــداة مـــن الصـــباح
لا تضـــلنَّ بـــالرفيقْ ... إن دنـــت ســـاعة الـــرواح

•••

إن دنـــت ســـاعة السُّـــبات ... ويـــك! لا تخطـــئ الوكـــور
كـــم وكـــور منـــاظرات ... للبيـــوت اســـمها القبـــور!

معرض البيت

هـــو بيـــت قـــد حـــواهم مســـكنا ... ونَـــأُوا فيـــه كنَـــأْي الشـــهبِ
لـــو عرضـــنا صـــور الـــدنيا هنـــا ... لرأينـــا كـــل معنـــى عجـــبِ

•••

(٩) جمع رقية، وهي طلسم السحر وما يُسْتَعَان به من القوى الخفية.

فيه طفل وفتى غض الإهاب ... عند كَهْل، عند شيخ جاثمِ
فيه غيد لم يجاوزن الشباب ... وفتاة في الشباب الباسمِ
ذلك البيت على ضيق الجناب ... معرض الدنيا، وفحوى العالمِ
كل ما همَّ ابن أنثى أو عَنَى ... بنت أنثى – ها هنا لم يعزبِ
كل حي فيه دنيا بل دُنَى ... جُمعِتْ أشتاتها في موكبِ

•••

موكبٌ لم يرتحل من موطن ... وإليه وحده شدُّ الرحال
فيه دنيا صُنِعَتْ من لبن ... عند دنيا من خزانات ومال
عند دنيا صُنعتْ من أعين ... وقلوب، ولهيب، وجمال
عند دنيا لم نجدها بيننا ... لم نجدها من وراء الكتبِ
عرضتْها الدارُ أشتاتًا لنا ... فالتقت موصولة في سببِ

•••

رُبَّ دنيا صنعوها لعبا ... جَاورتْ دنيا دواء وسقم
وصبيٍّ جد أو طفل حبا ... جاورا نضو مشيب وهِرَم
ورفيقين هناك اصطحبا ... وهما قُطْبَا خصال وشيم
فرجة فيها لمَنْ شاء الغِنَى ... غير ما عان ولا مغتربِ
ما نأى في الدهر شيء أو دنا ... بعد هذا المورد المقتربِ

•••

طالب المسرح من خلف الحجاب ... أنت في «المسرح» صبحًا ومساءَ
يخلق البيت من الدنيا العجاب ... صورًا شتى وأنماطًا ولاءَ[١٠]
وترى فيه وإن ضاق الجناب ... أوجهًا مختلفات تتراءى
أين وجه يملأ العين سَنَى ... من وجوه كانطباق الغَيْهَبِ
فتأمل ها هنا أو ها هنا ... ترع ما شئت بمَرْعَى مُخْصِبِ

•••

(١٠) متوالية.

أي مـــرأى لـــو تجلـــى للعيـــون ... فـــي ضـــياء كضـــياء الســـيمياء!
كلمـــا بـــاح جـــدود وبنـــون ... بِـــرُؤاهُ، ورجـــال ونســـاء
لـــم يكـــن قـــط وهيهـــات يكـــون ... منظـــر أجـــدر منـــه بالضـــياء
إن تَـــأَبَّ أن تـــراه بيِّنًـــا ... فالتمســـه «بالخيـــال» المغـــرب
إنمـــا الأعـــين كانـــت أعينًـــا ... بسَـــنَى مـــن نـــور ذاك الكوكـــب

بُعيدَ الغروب

ضـجيج الصـغار إذا مـا خلـت ... نـــواحي الـــديار مـــن الوالـــدِ
صـــياح العصـــافير فـــي دَوْحَـــة ... خَلَـتْ مـن عُقَـابٍ ومـن صـائدِ
وأَطْـرَبُ مـن غابـة فـي الصـبا ... ح مـــن مُنْشِـــدٍ ثَـــمَّ أو ناشـــدِ
تَنَـادِي الصِّـغَار بُعَيْـدَ الغـرو ... ب مـــن كـــل مجتمـــع حاشـــدِ
إلـى لحظـة ثـم تلقـى الجمـو ... ع مـــا بـــين نَعْسَـــان أو راقـــدِ

فتنة الصور المتحركة

إلـى أيـن تَهْـرَع هَـذِي الفتـاة ... وهـذا الفتـى أيـن يبغـي المفـر؟
سِـــرَاعًا إلـــى الصـــور الناطقـــا ... ت تحكي الغرام وتحكي الخطر
لقـــد أصـــبحوا صـــورًا مثلهـــا ... فـــلا عجـــب يعشـــقون الصـــور
هـم النـاس لـم يبـقَ إلا صـدى ... تَفَشَّـــى وإلا طِـــلَاء ظهـــر

على سفح الهرم

طلـع البـدر علـى سـفح الهـرمْ ... شـــبح ذلـــك أم ظـــل جـــثم
لا تـــراه حينمـــا تلمحـــه ... مـــن بعيـــد غيـــر ظـــل وقـــدَم
لـو تفشَّـى النـور أو رقَّ الـدجى ... لتـــولَّى خشـــية، أو لانهـــدم

متسول

هـم النـاس ضـيفٌ لهـذي الحيـا ... ة وذلــك ضــيف لهــم مبــرمُ
ففــي كــل بيــت لــه لقمــة ... وفــي كــل جيــب لــه درهــمُ
وفــي كــل أرض لــه معقــل ... ومَـنْ لا يخـف فهـو مستعصـمُ

•••

ذليــل مَهِــين بمــا يَغــنم ... ذليــل مهــين بمــا يُحــرمُ
ولــيس أذل مــن المصلحيــ ... ـن إذا أصلحوا الناس أو علموا
ولــيس بــأهونَ مــن دعــوة ... يضــيق بهــا الســذج النُــوَّمُ

•••

ألا أيهــا الســائل المعــدم ... قســمت فحســبك مــا تقســمُ
حقــرتَ الحيــاة كمــا حقَرتْــكَ ... فمــا منكمــا أحــد يظلــمُ
تحاسـبتما فتسـاوى الحسـاب ... فــلا مــن يُغــالط أو ينــدمُ
ومــا هكــذا النــابغ العبقــري ... ولا هكــذا الآثــم المجــرمُ

أناشيد وأغاني

النشيد القومي

قـــــد رفعنـــــا العلـــــم للعُـــــلا والفِـــــدَى
فـــــي ضـــــمان الســـــماء
حـــــي أرض الهـــــرم حـــــي مهـــــد الهـــــدى
حـــــــــي أم البقـــــــــاء

•••

كـــــم بَنَـــــتْ للبنـــــين مصـــــر أم البُنَـــــاة
مـــــن عريـــــق الجـــــدود
أمـــــة الخالـــــدين مَـــــنْ يَهَبْهَـــــا الحيـــــاة
وهبتـــــــه الخلـــــــود

•••

تحـــــت أصـــــفى ســـــماء فـــــوق أغنـــــى صـــــعيد
شـــــعب مصـــــر مقـــــيم
قـــــد حـــــوى مـــــا يشـــــاء مـــــن زمـــــان مجيـــــد
ومكـــــــان كـــــــريم
نيلنـــــا خيـــــر مـــــاء كـــــوثر مـــــن نعـــــيم
فـــــاض بالسلســـــبيل
فـــــي العـــــروق الـــــدماء شـــــعلة مـــــن حمـــــيم
للعـــــــدو الـــــــدخيل

•••

إن يكـــــن أمســـــنا فـــي حمـــى الأولـــين
فلْـــــــنَعِشْ للغـــــــدِ
لا تـــــرى شمســـــنا غيـــر فـــتح مبـــين
مـــــا يـــــدم يـــــزددِ

•••

فارخصـــي يـــا نفـــوس كـــل غـــالٍ يهـــون
كـــــل شـــــيء حســـــن
إن رفعنـــــا الـــــرءوس فلـــيكن مـــا يكـــون
ولـــــتعش يـــــا وطـــــن

شكر المحتفلين بالنشيد القومي

أُلْقِيَتْ هذه القصيدة في الاحتفال الذي أُقِيمَ تكريمًا للنشيد القومي:

بـالنَّظْمِ أَحْمَـدُ مُكْرِمِـي نظمـي ومـن السـلاف تحيـة الكـرمِ
هـذا النشـيد، ففـيم يشـكرني قـومي، وقـد غَنَّـى بـه قـومي
أن تقبلـوه، وتلـك مفخـرة عظمـى، فقـد وفيـتُمُ سـهمي
قـد كـان لـي، غـدا لكـم قِسْـمًا، فحسبي ذاك في قسمِ
مـن تقبـل الأوطـان قُرْبَتـه جـادت عليـه بمغـنم ضـخمِ

••• •••

أبنـاء مصـر وأمكـم أمـي يـوم الفخـار، وهَمُّكـم هَمِّـي
أنـي نظمـت لهـا الـدعاء، وبـي منهـا شـكاة الـروح والجسـمِ

شـــوق إلـــى حريتـــي طلـــقٌ ... ويـدان بعـدُ مهيضـتا عظـمِ [1]
لي في السماء هوى ويمسكني ... غـــل يصـــافحني علـــى رغـــمِ
فلـئن رسـمتُ لمصـر طالعهـا ... فلقـد وصـلتْ بنجمهـا نجمـي
ولـئن وصـفتُ لهـا سَـرِيرَتَها ... فمـن الضـمير مصـادر العلـمِ

•••

أبنـاء مصـر علـى هـدايتكم ... إن النجـاح لكـم مـن الخـتمِ
إن تهتفـوا بنشـيدكم كلمًـا ... فـدعوا القلـوب تُجيـب بـالعزمِ
عُقْبَـى الطريـق لمـن إذا بـدءوا ... عرفـوا لأيَّـة غايـة ترمـي
هـذا الـورود دنـا فـلا تَهِنُـوا ... إنـي أراه علـى مـدى سـهمِ

نشيد، على مُقْتَضَى الحال

كانت وزارة المعارف قد وَلِعَتْ «بمكايدة» صاحب هذا الديوان على طريقتها المعهودة في ذلك الحين، فأعلنت عن مسابقة للأناشيد القومية، وهي تعلم أن صاحب الديوان لن يدخل فيها، فكان جوابه أن عرض النشيد التالي ليستحق به الجائزة عندها:

إلـى الـوراء إلـى الـوراء إلـى الـوراء
إلـــى الـــوراء كـــل يـــو ... م فـــي الصـــباح والمســـاء
إلـــى كرومـــر الحنـــون
ومكمهـــون، ولمبســـون

---

(١) نظم النشيد وصاحبه مصاب في كلتا يديه في حادث اصطدام، والأمة المصرية محكومة حكمًا لا ترضاه.

وسمبســـــون،[٢] وكـــــل جـــــون
إلـــــى الـــــوراء بـــــالقلوب إلـــــى الـــــوراء بـــــالعيون
إلـى الـوراء إلـى الـوراء إلـى الـوراء

•••

وفـــــي ركـــــاب المستشـــــار
يمشـــــي الكبـــــار والصـــــغار
والزارعـــــــون والتجـــــــار
والشاخصـــون فـــي انتظـــار علـــى اليمـــين واليســـار
إلـى الـوراء إلـى الـوراء إلـى الـوراء

•••

لهـــــم إذا شـــــاءوا العطـــــاء
ومـــــا لنـــــا مـــــنهم جـــــزاء
إن يطلبـــــوا منـــــا الـــــرداء
نُعْـــــطِ الطعـــــام والشـــــرا
إلـى الـوراء إلـى الـوراء إلـى الـوراء

•••

إلـــــى الـــــوراء لا الأمـــــام
إلـــــى الـــــوراء بـــــاحترام
علـــى الـــدوام، وفـــي الختـــام
وكـــــل يـــــوم بانتظـــــام وكـــــل عـــــام، والســـــلام
إلـــــى الـــــوراء إلـــــى الـــــوراء إلـــــى الـــــوراء

---

(٢) كرومر ومكماهون ولمبسون معتمدون بريطانيون في مصر، وسمبسون موظف كبير في وزارة المعارف العمومية.

أغاني

هذه الأغاني نُظِمَتْ لتُنْشدها الآنسة «نادرة» في رواية من روايات الصور المتحركة حسب المواقف التي تعرض لأبطالها، وهذه الأغنية التالية تُنْشَد في زَوْرَق يجري على النيل عند القناطر الخيرية تحت أشجار الصفصاف التي تُطِلُّ على الشاطئ وفي الزورق المحبان يتناجيان، والحبيبة تنشد:

فـــي الهَـــوَى قلبـــي زَوْرَقٌ يجـــري
أيـــن يمضـــي بـــي نهـــره الخمـــري
ليتنـــي أدري

•••

لَيْتَـــه يجـــري يـــا أبـــا الأنهـــارِ!
مثلمـــا تســـري فـــي حمـــى الأقـــدارِ
حولـــك الأزهـــار

•••

حولـــك الصفصـــاف مســـبل الشـــعرِ
نـــاعس الأطيـــاف ســـابح الفكـــرِ
فـــي الهـــوى الســـحري

•••

يـــا ريـــاض النيـــل عَلِّمِـــي قلبـــي
فرحـــة التهليـــل عشـــت للحـــبِّ
يـــا مُنَـــى الصَـــبِّ

•••

قـــال لـــي قلبـــي والهَـــوَى يرعـــاهُ
هـــو فـــي قُرْبِـــي مـــا الـــذي أخشـــاهُ
عنـــدما ألقـــاهُ

أمسية على النيل

وهذه الأغنية تُنْشَد على شاطئ النيل بعد الغروب:

يـــا حبيبـــي أنـــت رِيٌّ ... لـــيس فـــي المـــاء نظيـــرهُ
يـــا حبيبـــي أنـــت ظـــل ... لـــيس للـــروض عبيـــرهُ

•••

يـــا حبيبـــي أنـــت بـــدرٌ ... أيـــن نـــور البـــدر منـــه؟
أيـــن نـــور زانـــه الحبـــْ ... ـــبُ ونـــور لـــم يزنـــه؟

•••

أنـــت عنـــدي كـــل شـــيء! ... كـــل مـــا شـــئت يكـــون
قـــل لهـــذا الليـــل يبقـــى ... ومـــع الليـــل الســـكون

•••

قـــل لـــه فهـــو نجـــيٌّ ... مُرْهِـــف الســـمع إلينـــا
كيـــف يعصـــي لـــك أمـــرًا؟! ... والهَـــوَى طـــوع يـــدينا

الزوجة المهجورة يوم ميلادها

وهذه الأغنية تنشدها الزوجة التي هجرها زوجها يوم ميلادها، ولم يرضَ أن يُلازمها في المنزل؛ ليُشاركها في الاحتفاء بهذا اليوم:

مولـــدي يـــوم شـــقائي ... مـــات فـــي المهـــد رجـــائي
لـــيس فـــي قلبـــي عـــزاءٌ ... أيـــن فـــي الـــدنيا عزائـــي!
أحســـب البـــدر ظلامًـــا ... وهـــو مصـــباح الســـماءِ
لَاحَ فـــي الأفـــق وحيـــدًا ... ومـــن الوحـــدة دائـــي
كـــم أَرَانِـــي النـــور حزنًـــا ... كـــان فـــي طـــيِّ الخفـــاءِ

إغواء

وهذه الأغنية تُنشدها بطلة الرواية على مسمع من صاحبها؛ لتوحي إليه أنه هو المقصود بحبها وغنائها، وقد كان يجهل ذلك:

هـــل دَرَى مـــن أحبـــه ... أيـــن فـــي الحـــب مطمعـــي؟
هـــل معـــي الآن قلبـــه ... مثلمـــا ســـمعه معـــي؟!

•••

هـــل أراه بنـــاظري ... أم أرى الطيـــف الرجـــاء
ربمـــا بـــات زائـــري ... وهـــو فـــي البعـــد كالسـماء
ليتـــه يكشـــف الضـــمير! ... ليتنـــي بـــالهوى أبـــوح!
فاكشـفْ الـروض يـا عبيـر ... إن عطـــر الهـــوى يَفـــوح
شِـــرْعَة القلـــب شـــرعتيظ ... مـــا احتيـــاجي إلـــى شـــفيع
إن تَسَـــــلْنِي فحُجَّتِـــــي ... فـــي يـــدي زهـــرة الربيـــع

في ساعة انتظار

يـا سـاعة الصـفو! غِبْـتِ عنـي ... وحيَّـــرتْ لـــوعتي خطـــاكِ
تائهـــة أنـــت فـــي طريقـــي ... هـــداكِ نـــور الهـــوى هـــداكِ

•••

أبطـــأت يـــا ســـاعة التمنـــي ... وموعـــد الملتقـــى قريـــب
هـــل يُبطـــئ البَـــيْن لـــو ســـعى ... لـــي كمـــا ســـعى موعـــد الحبيـــب

•••

أصـــبحتُ فـــي لهفتـــي عليـــه ... أنتظـــر الليـــل بالنهـــار
طـــال انتظـــاري لـــه فمـــاذا ... فـــي الغيـــب يـــا ليـــل بانتظـــاري؟!

قوميات

يوم الجهاد ذكرى ١٣ نوفمبر في سنة ١٩٣٥

أجل هو يوم الفدى والذمم ... ويوم الجهاد ويوم القَسَمْ
ويوم الذين دعوا أمة ... ونادوا بدعوتها في الأممْ
ويومٌ له غده المُرْتَجَى ... ويوم له سره في القِدَمْ
هنا حرم في جوار الزمان ... فحيوا الزمان وحيوا الحرمْ
هنا فليقم عهده من أقام ... ويعزمْ على أمره من عزمْ
ويستقبل الهول من راضه ... ويرتد من خافه فانهزمْ
تعز الصفوف بنبذ الجبان ... كعزتها بشجاع هجمْ
وتُحمى الحقوق بدفع الضعيف ... كدفعك عن حوضها من ظلمْ
فليستْ تُصان الحقوق التي ... حمى جانبيها ضعاف الهممْ
وهيهات تعلو لنا شوكة ... بشكوى الذليل ونجوى السأمْ
إذا كرمت أمة لم تكن ... كرامتها من هبات الكرمْ
إذا استرحمتْ أمة خصْمَها ... فلا رحمتها عوادي النقمْ

•••

أفيقوا أفيقوا حماةَ الديار! ... حماة الديار ببأس الرمم!
أتسمعكم «لندن» يا تُرَى ... على النَأْي أم لم تزل في صَمَم؟!
أيشفق هاجركم يا ترى ... هنالك أم قد جفا واعتصم
أيُطمعكم منه ذاك الدلال ... أَمْ حَسَمَ الشَّكُّ فيما حسم
إذا لم يكن صوتكم بالغًا ... إليه فما قولكم في النغم؟!
عليكم بقيثارة حلوة ... وناي وعود وزير وبم

وبثـــوا لـــه لوعـــة أو ضـــنى ... وشـــقوة حـــال ونجـــوى نـــدم
فقـــد ينثنـــي فـــي غـــد راضـــيًا ... إذا صُـــدَّ فـــي أمســـه أو صـــدم
وقـــد ينثنـــي طيفـــه فـــي الكَـــرَى ... وطـــاب الكـــرى عنـــدكم والظلـــمْ
ويـــا ويلكـــم بعـــدها إن جفـــا ... وعـــاف المقـــام بـــأرض الهـــرمْ
فكيـــف تُطيقـــون منـــه الجـــلاء ... إذا مـــا انجلـــى بعـــدها وانصـــرمْ!

•••

أفيقـــوا أفيقـــوا دعـــاة الـــديار ... دعـــاة الـــديار وفـــيكم بَكَـــمْ
وأوصـــوا الرفـــاق بصـــمت طويـــل ... وصـــبر جميـــل وهـــزل عمـــم
وقولـــوا لهـــم مثلنـــا فاصـــنعوا ... إذا نـــابكم نائـــب أو دهـــم
ومَـــنْ جَـــدَّ مـــن أمـــره بيـــنكم ... فـــذاك هـــو الخـــائن المـــتهم
فـــإن الأمانـــة فـــي شـــرعنا ... ولائـــم تُغشـــى ولهْـــوٌ يُـــؤم
وإن الخيانـــة فـــتح العيـــون ... وفـــتح العيـــون عـــدو الـــنعم
كفـــى لعبًـــا أيهـــا الهـــازلون! ... فقـــد مـــلأ الخطـــب مصـــرًا وَطَـــم
لقـــد أســـأمتْكم كبـــارُ الأمـــور ... لقـــد أســـأمتنا صـــغارُ اللمـــم
وقـــد أســـأمتنا رعـــاة تُسَـــاقُ ... فـــأين الرعـــاة وأيـــن الغـــنم؟
أأصـــــنام بـــــاغين تبغونهـــــا ... وأنـــتم تـــذلون ذل الخـــدم؟!
أأطلـــــب حريـــــة للعبيـــــد ... وألقـــي بحريتـــي عـــن رَغَـــم؟!
فمـــاذا أقـــول لهـــذا الجبـــين؟! ... ومـــا عابـــه عائـــب أو وَصَـــم
ومـــاذا أقـــول لهـــذي اليمـــين ... وإني بهـــا قـــد صـــنعت الصـــنم؟!
معـــاذ الفتـــوة إنـــي لكـــم ... علـــى رصـــد ســـاهر لـــم يـــنم
هـــو الحـــق مـــا دام قلبـــي معـــي ... ومـــا دام فـــي اليـــد هـــذا القلـــم
بنـــي مصـــر طوفـــوا بهـــذا الحـــرم ... بيـــوم الفخـــار ويـــوم الألـــم

يســـــر ويُـــــؤلم تـــــذكاره ... وفـي الغـد مـن حالتيـه الحكـم
بــدأنا بســعد وغــاب الإمــام ... فمــن شــاء فليحســن المختــتم
إذا نحــن ســرنا علــى نهجنــا ... فــلا ضــير فــي أن تــزل القــدم
حــذارِ القعــود مــع القاعــدين ... وســـر فـــالطريقُ ســـويٌّ أمـــم
فِـــدًى للـــبلاد وأعوانهـــا ... على النصـر مـن خانهـا وانهـزم
ومــن هونــوا الأمــر حتــى غــدا ... أجيــر الهتــاف دعــيَّ العِظَــم
وحتــى غــدت كــل تصــفيقة ... تبـوِّئ فـي المجـد أعلـى القمـم
ومــا المجــد صــفقًا ولا صــفقة ... ولكنـــــه معقـــــل يقـــــتحم
فــلا تركبــوا الســهل واستصــعبوا ... فللسَّــهل أصــعب هــول نجــم
تضـــيع الـــبلاد بـــه ســـهلة ... فمــن رامهــا عاديًــا لــم يلــم

•••

بنــي مصــر! صــونوا لهــا حقهــا ... كبــار النفــوس كبــار الشــيم
وحيــث تلاحــق مــوج البحــار ... علــى جــانبي شــطها والــتطم
وحيــث تــلألأ ضــوء الشــموس ... وأســفر عــن صــحوها وابتســم
فـــلا تتركـــوا ذرة مـــن ثـــرًى ... لبــاغٍ ولا قطــرة مــن خضــم
ولا لمحــة مــن شــعاع ســرى ... ولا نفحــة مــن نســيم نســم
لكــم وحــدكم مــا ضــننتم بــه ... ومـــا يُســـتباح ومـــا يُغتـــنم
فمـــا تبـــذلون فـــذاك الكـــرم ... ومـــا تمنعـــون فنـــار ودم
علــى العهــد فليقتــرب مــن رعــى ... ذمامًـــا وفليبتعـــد مـــن وجـــم
وهــذي الكنانــة مــن رَامَهَــا ... بســوء وَهَــى ظهــره وانقصــم
وأنــتم لهــا ســيفها المنتضــى ... وأنـــتم لهـــا عزمهـــا المعتـــزم
فقولــوا يــردَّ لهــا مجــدها ... يــرد ومــا تــم بــالعزم تــم

عيد بنك مصر

أُلْقِيَتْ في الاحتفال بمُضِي خمس عشرة سنة على إنشاء بنك مصر:

بلغتَ الشباب فعِشْ وازْدَدِ ... وأوحِ التهانئ للمنشدِ
نما بك جَدُّك في المعجزات ... فيا لك من معجز مفردِ!
أفي السن كاليافع المرتجى ... وفي المجد كالهرم المخلدِ؟
وما هرم الصخر في مجده ... نظيرك يا هرم العسجدِ
وما بنيةٌ حرةٌ في الرضى ... تقام كبنية مستعبدِ
بنو مصر! في كل عهد لهم ... بناء على سُنَّة الموعدِ
فحينًا معابد فوق الذُرَى ... وحينًا مصارف كالمعبدِ
بهذا وهذا نجاري الزمان ... ونسبق في شوطه الأبعدِ
ونُدرك في يومنا أمسنا ... ونرفع شأويهما في الغدِ

•••

أجل هو أشبه بالمعبدِ ... بناءٌ بقبلته نقتدي
ومن كان ينشد حريةً ... وعزًّا فذلكم المهتدي
وما يبتغي الدين من مؤمن ... سوى البر والجِدِّ والسُّؤْدَدِ
وإني لأحسب ذاك البناء ... بناء العقيدة لا الجامدِ
عقيدة داعين قد أخلصوا ... لمصر وللحق في المقصدِ
يريدونها حيث لا يُعتدى ... عليها بضَيْم ولا تعتدي

•••

أراه فأزْهَى به عِزَّةً ... كأن غناه غِنًى في يدي
وأحسب أنفاله حسبتي ... لكنز «على ذمتي» مرصد
إذا قيل: مورد أبناء مصر ... فلي أن أقول: نعم موردي
وما ثروة الموئل المُفتَدَى ... سوى ثروة الوائل المُفتدِي

إذا أنـــا سُـــدت ولـــي مـــوطن ... مهـــين فمـــا أنـــا بالســـيدِ

•••

تـــرنَّم كمـــا شـــئتَ واســـتطردِ ... وهنـــئ كمـــا شـــئت بالمولـــدِ
وقُـــلْ مـــا بـــدا لـــك فيمـــا مضـــى ... وفـــي مقبـــل بعـــده مســـعدِ
تربـــى الوليـــد وأمســـى بنـــوه ... وأحفـــاده زينـــة المعهـــدِ
أفـــي أســـرة الشـــيخ مـــن عُمـــره ... عـــددناه كاليـــافع الأمـــردِ!
أفي الخمس والعشر يُطوى المَدَى ... ويفـــتح كـــل حمـــى موصـــدِ
وتمـــلأ آثـــاره الخـــافقين ... أنَّـــى يُنـــادَ بـــه يوجـــدِ
سَـــلْ الطيـــر إنْ رامَهـــا فاتهـــا ... سَـــلْ الـــريح إنْ قادهـــا تنقـــدِ
سَـلْ الحـوت بـين شـعاب البحـار ... إن جاءهـــا صـــائدًا يُصـــطدِ
سَـلْ الشـرق عمـن قضـى حجـه ... سَـــلْ الغـــرب عـــن رائـــح مغتـــدِ
وسَـــلْ قطـــن مصـــر وســـل تُوتَهـــا ... عـــن الغـــازل الناســـج المرتـــدي
ومـــا لـــك لا تســـأل المســـتغيث؟! ... عـــن الســـامع المبصـــر المنجـــدِ
ومـــا لـــك لا تســـأل القـــارئين! ... عـــن الطـــابع الناشـــر الأجـــودِ
ومـــا لـــك لا تســـأل الفـــن! عـــن ... صـــروح حســـان وروض نـــدِ
ومـــا لـــك لا تســـأل الطيـــف! فـــي ... شـــباك مـــن الظـــل بالمرصـــدِ
تُمثلـــــه حُلمًـــــا ناطقًـــــا ... علـــى الســـتر مـــن يبغِـــه يشـــهدِ
كـــذاك يبـــارك فـــي الصـــالحا ... ت مـــن عمـــل الصـــالح الأيـــدِ
وخيـــر النجـــاح نجـــاح بـــه ... نصـــيبان للقـــوم مـــلء اليـــدِ
نصـــيب الغنيمـــة يغنـــى بهـــا ... وحســـن الثنـــاء علـــى المحتـــدِ

•••

فيـــا قـــائمين علـــى (حصـــن مصـــر) ... ســـعدتم برضـــوانها الأســـعدِ
إذا قيـــل (بنـــك) فقـــد قيـــل حصـــن ... نجـــا بالعتـــاد وبالمُعْتَـــدِ
ومـــن قـــال يـــا أمتـــي وفِّـــري ... فقـــد قـــال يـــا أمتـــي جَنِّـــدي
هنيئًـــا لكـــم قـــادة ذادة ... يصـــولون صـــولة مُستشـــهِدِ
هنيئًـــا لكـــم (حـــربكم) إنـــه ... مـــن الحـــرب فـــي وصـــفها الأحمـــدِ

لكـــم رايـــة النصـــر مرفوعـــة علـــى ســـاحة الـــزمن الســـرمدِ
تعـــود لكـــم كـــل أعيـــادكم بأجمـــل ممـــا بـــه تبتـــدي

في ذكرى سيد درويش في شهر سبتمبر سنة ١٩٣٥

اذكـــروا اليـــوم ســـيدًا واحفظـــوا الـــذكر ســـرمدا
وتغنَّـــوا بحمـــد مَـــنْ قـــد تغنَّـــى فأســـعدا
مَـــنْ يكـــن ذاك أمســـه يبتـــدئ مجـــده غـــدا

•••

كـــان للصـــوت مالكًـــا كيـــف لا يملـــك الصـــدى؟
قـــد حـــوى الســـمع شـــاديًا وســـيحويه مُخلـــدًا
أخلـــدُ النـــاس مَـــنْ إذا قيـــل تاريخـــه شـــدا
عـــاش للفـــن والفنـــو ن مصـــابيح للهُـــدى
مطلـــع النـــور نبعهـــا جـــاوز الشـــمس مصـــعدا
مـــن يعـــش فـــي الســـماء هيـــ ـــهات لا يعـــرف الـــرَّدَى

•••

جـــدِّدوا اليـــوم ذكـــر مَـــنْ قـــد تغنـــى فجـــددا
الـــذي صـــور الحيـــا ة هتافًـــا مـــرددا
علَّـــم النـــاس كيـــف يعـــ ـــنون بـــاللحن مَقصِـــدا
مـــا ابتغـــوا قبلـــه المعـــا نـــيَ فـــي القـــول مســـندا
فـــابتغوا بعـــده المعـــا نـــيَ فـــي الصـــوت مفـــردا
وانثنـــوا يعجبـــون للطـــ ـــير لمـــا تغـــردا
ولهمـــس النســـيم فـــي الـــ ـــغصن لمـــا تـــأوَّدا
والـــدراريّ والســـنا والأزاهيـــر والنـــدى

سمعوا كل ما انطوى ... من سرار وما بدا
سمعوا الكون بيِّنًا ... والمقادير شُهَّدا
فُتح الباب كله ... بعد أن كان مُوصَدا
ربما جاز فاتح ... في المدى ما تعمدا

•••

إنما الفن في الشعو ... ب شباب له الفِدَى
فيض ما زاد من شعو ... ر وما هام مبعدا
سورة في عروقها ... يتقي بأسها العِدَى
لا أنينٌ ولا طنينٌ ... ولا ضجة سُدَى
أو نديم لشارب ... بالطِّلا قد تزودا
أو بكاء كما بكى ... سائل يطلب الجَدَى
رحم الله سيِّدًا ... كان للفن سؤددا
ليت أحياءنا الأُلَى ... سبقوا الموت موعدا
لحقوا وهو في الثرى ... منه روحًا تمردا
وارْتَأَوْا مثل رأيه ... واقتدوا مثلما اقتدى
أكبر الظن أنه ... جاور البحر فاهتدى[1]
مُفلحٌ مَنْ يكون أسـ ... ـتاذه البحر مزبدا

•••

إنما اللحن ترجما ... ن عن النفس ما عدا
مبدع وهو ناقل ... كلما قال أوجدا
واصف لن ترى له ... عاذلًا أو مُفنِّدا

---

(١) كانت نشأة الموسيقار الكبير في ثغر الإسكندرية.

هكـــــذا كـــــان ســـــيدٌ ... صـــادقَ الوصـــفِ مُرشـــدا
مـــا ســـمعنا لشـــعب مصـــ ... ـــــر علـــى مـــا تعـــددا
واصـــــفًا كـــــان مثلـــــه ... مســـــتجابًا مؤكـــــدا
كـــــل رهـــــط أعـــــاره ... لحنـــــه أســـــلم اليـــــدا
وحبـــــــاه بسِـــــــرِّه ... نـــــاطق الوســـــم منشـــــدا
لـــــيس مـــــن عامـــــل ولا ... عاطـــــل راح أو غـــــدا
أو ســـــــريٍّ مجلَّـــــــل ... أو فقيـــــــر تجـــــــردا
أو قـــــــويٍّ مزمجـــــــر ... أو ضـــــعيف تنهـــــدا
أو دعـــــاء دعـــــاه إلا ... عرفنـــــاه جيِّـــــدا
هكـــــذا يســـــمع الخليـــــ ... ـــقة مَـــنْ يســـمع الصـــدى

•••

إنمـــــا اللحـــــن منطـــــق ... وحَّـــــد الكـــــون إذ حـــــدا
فيـــه لا فـــي اللغـــات يبـــ ... ـــــدو نظيمًـــــا منضِّـــــدا
اســـمعوا منـــه فـــي الضـــما ... ئـــــر وحيًـــــا مؤيـــــدا
حيثمـــــا يقصـــــر الكـــــلا ... م ويمشـــــي مقيـــــدا
وارفعـــوا الفـــن واحـــذروا ... مهبطًـــــا منـــــه أوهـــــدا
واجعلـــوا مـــن تـــراث در ... ويـــش للفـــن معبـــدا
إنـــــه مَهَّـــــد الخُطـــــى ... فـــابلغوا أنـــتم المـــدى
رحـــــم الله ســـــيِّدًا ... كـــان فـــي الفـــن ســـيِّدا

فاز سعد

نُظِمَتْ عندنا نقل رفات الزعيم الخالد سعد زغلول من ضريحه في صحراء الإمام إلى ضريحه المقام إلى جوار بيت الأمة:

عــرف النفــي حيــاة ومماتــا ... وأصــاب النصــر روحًــا ورُفَاتــا
كلمــا أقصــوه عــن دارٍ لــه ... رَدَّه الشــعب إليهــا واســتماتا
كيــف يجزيــه افتياتًــا وهــو مــن ... كان لا يرضى على الشعب افتياتا
أصــبحت دارك مثــواك فــلا ... تخشَ بعد اليوم يا سعد شتاتا
حبــذا الخلــد ثمــارًا للــذي ... غــرس المجــد ونَمَّــاه نباتــا

•••

كــل أرض للمصــلِّي مســجد ... غيــر أن الكعبــة الكبــرى مقــام
هكــذا قبــرك مرفــوع الــذُرَا ... في جوار البيت أو سفح الإمام
أرض مصــر حيــث أمسيت بهــا ... فبنــو مصــر حجــيج وزحــام
غيــر أن الــذكر يبغــي منســكًا ... مثلمــا يبغيــه حــج واســتلام
فــالْقَ فــي قبــرك خُلــدًا كلمــا ... مــر عــام تبعتــه ألــف عــام

•••

جيــرة الأحيــاء أولــى بالــذي ... بعــث الــدنيا حيــاة لــن تبيــد
معشــر الأحيــاء أنــتم لكــم ... مــدد مــن ذلــك الميــت مديــد
مســتعيدين رجــاءً كلمــا ... جزتمــوه وهــو مــنكم مســتعيد
إنــه فــي كــل جيــل ذاكــر ... مــن بنيــه أبــد الــدهر وليــد
تلــك يــا ســعد مغانيــك فمــا ... في سواها يسكن اللحد شهيد

•••

اعبــر القــاهرة اليــوم كمــا ... كنــت تلقاهــا جموعًــا ونظامًــا
ســاعة فــي أرضــها عــابرة ... بــين آبــاد طــوال تترامــى
ســاعة مــن عــالم الفــردوس لا ... تشــبه الســاعات بَــدْءًا وختامــا
كــل مَــنْ شــاهدها زِيــدَ بهــا ... مــن معانيــك جــلالًا ودوامــا

قـل لهـم أبلـغ مـا قلـت لهـم ... أيهـا الـواعظ صـمتًا وكلامـا

•••

جـردوا الأسـياف مـن أغمادهـا ... ذاك يـوم النصـر لا يـوم الحـداد
ارفعـوا الرايـات فـي آفاقهـا ... أين يوم الموت من يوم المعاد؟
لا يُلاقَـى الخلـد بـالحزن ولا ... يُكتَسى الفتح بجلباب السواد
ذاك يـوم مـا تمنـاه العِـدَى ... بـل تمنـاه ولاء ووداد
فانفضـوا الحـزن بعيـدًا واهتفـوا ... فـاز سـعد وهـو فـي القبـر رمـاد

•••

الفـراعين الأُلَـى أجليـتهم ... لَتَمَنَّـوا لـو أجـازوك الطريـق
أنـت أضـفيتَ علـى أوطـانهم ... سـعة وهـي مـن الأسـر مضـيق
أنـت أيقظـتَ لهـم تـاريخهم ... وهـو فـي نومتـه لا يسـتفيق
فضـلك اللاحـق أحيـا فضـلهم ... فاسـتوى منـه طريـف وعريـق
آيـة فـي الحـق لا ينسـخها ... أبـد الـدهر عـدو أو صـديق

•••

يـا بنـي مصـر اجعلـوا نقلتـه ... رمـز إحيـاء وعـزم ومضـاء
وانظـروه كيـف حالـت دونـه ... غِيَـرٌ شـتَّى ومـا حـال القضـاء
المُنحَّـون تنحَّـوا جانبًـا ... آخـر الأمـر، وسـعد فـي البنـاء
كـل ذي حـق سـيعطى حقـه ... لـيس للمجـد مـن الخلـد نجـاء
كـل مـا عـارض سـعيًا باقيًـا ... عَـرَضٌ فـانٍ وزورٌ وريـاء

•••

ترمـز الشـمس[٢] إلـى نقلتـه ... بسـفور غالـب بعـد حجـاب

---

(٢) إشارة إلى كسوف الشمس صباح ذلك اليوم.

صـرعت ليلـين صـبحًا فـروَتْ ... عـن حضـور ناصـع بعـد غيـاب
هـو أيضًـا قـد طـوى ليـل الـردى ... وطـوى ليـل الغواشـي والكِـذَاب
فـي السـموات وفـي الأرض لـه ... أثـر ينبـئ عـن يـوم المـآب
أثـر الفجـر إذا انْجـاب لنـا ... عـن ضـحاه بعـد لَأْيٍ وغِـلَاب

•••

دان يـا سـعد لـك الـذكر بمـا ... شـيد البـاني ومـا خـط الزبـور
قَـدَر نـادى فلبَّتـه علـى ... موعـد الـذكرى صـخور وسـطور
أنـا بـانٍ لـك فـي مُلْـك النهـى ... منـزلًا يبقـى ولا تبقـى الصـخور
مـن أسـانيدك آسـاس لـه ... ومـن الحـق لـه حسـن ونـور
إن أنـل شَـأْوَك فيـه إننـي ... بالـذي شـيدت منـه لفخـور

•••

فتيـة الـوادي بسـعد فاقتـدوا ... إن تخيـرتم لـه خيـر وفـاء
اذكـروه بالـذي يعملـه ... مـنكم العامـل فـي غيـر ونـاء
واذكـروه بالـذي امتـاز بـه ... مـن مزايـاه الأبيَّـات الوضـاء
هكـذا يخلـد سـعد بيـنكم ... بتماثيـل حيـاة وروَاء
كـل مـا يعظـم مـن أعمـالكم ... هـو تخليـد لـذكرى العظمـاء

إلى متطوع مشروع القرش

نُظِمَتْ هذه القصيدة تشجيعًا للشبان الذين كانوا يطوفون بالطرقات والمنازل؛ لجمع الاكتتابات بالقروش وتخصيص ما يجتمع منها لإحياء الصناعة الوطنية:

يـا آخـذًا أشـبه بالمـانح ... بوركـت فـي مجهـودك الصـالحِ

تمـــد كفيـــك ولكـــن كمـــا ... مُـدت يمـين المنقـذ الناضـحِ
وتعقـــد الصـــفقة لا تنطـــوي ... فـــي عقـــدها إلا علـــى رابـــحِ
فبـــاذل القـــرش ومـــن نالـــه ... صنوان في وزن الندى الراجحِ

•••

يـــا فتيـــة القـــرش ورواده ... علـى سـواء المـنهج الواضـحِ
خـذوا هبـات الجـود حتـى إذا ... فـــرغتم مـــن فيضـــها النـــاقحِ
طوفـوا علـى الـدور ولا تتركـوا ... بابًـا قـد استعصـى علـى فـاتحِ
وحاصـــروا الراكـــب فـــي ركبـــه ... واسـطوا علـى السـانح والبـارحِ
وراقبـــوا الجـــو ولا تتقـــوا ... غوصًـــا وراء الغـــائص الســـابحِ
وعلمـوا مَـنْ ضـن بـالقرش أن ... يخجـل مـن عدوانـه الفاضـحِ
فمـــن أبـــى قرشًـــا علـــى أمـــة ... فـــذاك كالجـــاني وكالجـــارحِ
أنـتم رجـال الغـد فاسـعوا لـه ... بـــرأس مـــالٍ لغـــد نـــاجحِ
وزودوا مصـــر بـــزاد الغنـــى ... والعـزم مـن هـذا الصـبا الطـامحِ
وأنبتـــوا مصـــرًا لكـــم حـــرة ... تغلـــو بهـــا أحدوثـــة المـــادحِ
نعـم البنـون الأذكيـاء الأُلَـى ... ردوا جميـل الـدرهم الفـادحِ!
أرضـــاكم إذ كنـــتم صـــبية ... صحتم صياح الغاضب الجامحِ
فلـم يـزل حتـى رجعـتم بـه ... رضـى لهـذا الـوطن الصـائحِ

بين عهدين

أُلْقِيَتْ في مؤتمر حافل أوائل سنة ١٩٢٥:

أحسنتم الصبر والعقبى لمن صبروا ... نـادى البشـير فقولـوا اليـوم وائتمـروا
تلـك السـنون التـي ذقـتم مرارتهـا ... هـذا جناهـا فطـاب الغـرس والثمـرُ
مـرت وفـي كـل مصـريٍّ لهـا أثـرٌ ... إلا اليقـين فمـا فيـه لهـا أثـرُ

سيهدم الطَّوْدُ مَنْ يبغيه معتديًا ... وليس يُهدم من أركانكم حجرُ
بناكم الله في أرض إذا رفعت ... صرحًا من المجد لم تعبث به الغِيَرُ
الدهر في غيرها هدَّام أبنية ... والدهر في شاطئيها حارس حذرُ
كِنَانَة الله كم أوفت على خطر ... ثم استقرت وزال الخوف والخطرُ
وكم توالت على أبوابها أممٌ ... ومصر باقيةٌ والشمس والقمرُ
كأن رمسيس حيٌّ في مدينته ... يرعى بَنِيه وهم من حوله زمرُ

•••

ها أنتمُ أنْتُمُ والشمل مجتمعٌ ... لا الأمن طاش ولا أجناده حضروا! (٣)
أين القلاقل؟ بل أين المعاقل؟ بل ... أين الزبانية الفتاكةُ الشزرُ
وأين من أرسلوهم في محافلكم؟ ... وأين ما خوفوا الدنيا وما زجروا؟
خافوا على أمنهم لا أمن أمتهم ... كذاك يخشى بغاة السوء من سهروا
إذا الظلام حواهم في مساربهم ... فالنور في الليل ذنب ليس يُغْتَفرُ
لا يرحم الله عهدًا كان آمنه ... حربًا على الأمن لا يُبْقِي ولا يذرُ
من كل باغ له في الشر ألف يد ... لو قُطِّعت كلها لم يُجْزِهِ القدرُ
ينعى على الشرف العالي مفاخره ... وينثني وهو بالآثام مفتخرُ
قالوا «النظام!» وطافوا حوله نُذُرًا ... شاه النظام وشاهتْ تلكم النُّذُرُ
بئس النظام الذي تعلو بقمته ... نفاية في حضيض الذلّ ما ظهروا
تسللوا شِيَعًا في كل ناحية ... كأنهم منسر في الأرض منتشرُ
ظلم ولؤم وإتلاف ومفسدة ... وسطوة وقلوب كلها خورُ
الله في عون مصر من رذائلهم ... كم أجرموا في نواحيها وكم فجروا
لو أنصفوا كان سجنًا دار ندوتهم ... يحمى المهارب منها حارس عَسِرُ

---

(٣) كان أعداء الحرية يمنعون كل اجتماع بدعوى الخوف على الأمن العام.

نَصُّوا الشرائع فيها للعقاب بها ... وهم لكل عقاب زاجر وطرُ
ما كان خارجها جانٍ أضرُّ على ... بلاده من جُنَاة عندها حشروا
قالوا: انتخاب! فقلنا: إي نعم صدقوا ... هو انتخاب لمن خانوا ومن غدروا
هو انتخاب، أجل! بل تلك غربلة ... وهم هنالك في غِربالها وضرُ
لا تدخلوها إذا جئتم بساحتها ... إلا إذا غُسلت ألفًا وتعتذرُ
فازوا بمال وقد فزتم بأنفسكم ... ربحتمُ أنتم العقبى وهم خسروا
عرفتم الخطة المثلى بتجربة ... وراء تجربة تمضي وتندثرُ
وفي التجارب من حق ومن عِبَر ... فما لهم ما وعوا حقًّا ولا اعتبروا
آن الأوان لمصر أن تجدَّ على ... مناهج السعي لا زيغ ولا غررُ
قويمة الخطو لا التيه الذي نصبوا ... يُثنى خطاها ولا الجب الذي حفروا
على الصراحة إن ودَّت وإن نفرتْ ... ويستوي بَعْدُ مَنْ وَدُّوا ومن نفروا
هيهات تحجب عينيها براحتها ... إذا اتقوا نظرة منها لما ستروا
شِعَارها ذاك فليحمل نظائره ... من يبتغي ودها تنفعهم الشّعرُ

•••

يا فتية النيل هذا النيل مستمع ... ومصر ناظرة والشرق منتظرُ
صونوا لمصر تراثًا من أوائلها ... وثروة من ثراها الحُرُّ تُدَّخَرُ
ووفُّروا من قواها كل ما وفرت ... من الضمائر في الجُلَّى وما تفِرُ
وعلِّموا علمها من ينفعون به ... سيان في العلم ذو مال ومفتقرُ
ويسروا من صناعات الأكفِّ لها ... ومن فنون بها الأرواح تزدهرُ
أمانةُ تلك في أعناقكم عَظُمَتْ ... وبالأمانة فليعظُم من اقتدروا
فباركوا شعبكم وادعوا بدعوته ... واستبشروا ومُروا بالحق وائتمروا

دار العمال

أُلْقِيَتْ في دار العمال عند افتتاحها في صيف سنة ١٩٣٥:

حيِّ «دار العمال» بالإقبال ... وتَرَقَّب لها بلوغ الكمالِ
وانتظر رافعي الدعائم حتى ... يرفعوا بيتهم عزيز المثالِ
رفعوا أمس ما علا من صروح ... ولهم في غد صروح عوالي
ولهم في غد من الأمر قِسْط ... من يكن مؤمنًا به لا يُغالي
أيها العاملون لبَّيكم اليو ... م ولبَّيكم غدًا في المجالِ
نعمَ جيش السلام أنتم إذا ما ... جرَّد البغيُ جيشه لاغتيالِ
لكم العدة التي ما استطاعت ... أمة قد تركها في نزالِ
ولكم أذرع شداد وأيدٍ ... من حديد وأظهر من جبالِ
ولكم في اتحادكم رأس مال ... إن فقدتم ذخائر الأموالِ
ولكم صيحة يهاب صداها ... سادة في نفوسهم كالموالي
فابلغوا بالوئام والصبر ما لا ... يبلغ المرجفون بالأهوالِ
لا يسخِّركم المسخِّر جهلًا ... وانبذوا كل عاطلٍ مكسالِ
حبذا الناس يعكفون على الأعـ ... ـمال حتى ذوي الغِنَى والملالِ

•••

لا يكن من بَنِي الكنانة باغٍ ... يملأ الناسُ دوره وهو خالِ
ويكيل النَّضار وهو دماء ... جُمِعَت من مصارع الآجالِ
كيف ترعى عناية الله أرضًا ... باء فيها المُجِدُّ بالإقلالِ؟
ينسج الخزَّ والحرير ويمشي ... حافيًا في الرقاع والأسمالِ
ويشيد القصور وهو شريد ... في زوايا الكهوف والأطلالِ
ويُدِرُّ الغِنَى وما في يديه ... شِبْعَةُ الوالدين والأطفالِ

يهـــب المتـــرفين عمـــر فـــراغ ... وهـو بـاكي الأيـام بـاكي الليـالي
ذاك ظلـــم نُعِيـــذُ بـــالله مصـــرًا ... مـــن أذاه فـــي مقبـــل الأجيـــالِ

•••

أيهـــا المنقـــذون بِنْيَـــة مصـــر ... مـن فتـور ومـن ضـنى أو كـلالِ
أنـــتم الكـــف والـــذراع وأنـــتم ... قـــوة فـــي يمينهـــا والشـــمالِ
حظكم حظها من العلم والصحَّ ... ـة والبـأس والحجى والخصـالِ
كلمـا نالهـا نصـيب مـن الخيـ ... ـر فـأنتم لكـم نصـيب تـالي
أعجـب النـاس عامـل فـي بـلاد ... صـاح فيهـا: مـا للبلاد ومـا لـي؟
لا تقولـوا العمـال حسـب وأنـتم ... فـــي بـــلاد تمـــوج بالعمـــالِ
إن مصـــرًا تنـــال مـــن غاصـــبيها ... أجـــر بخـــس وخدعـــة ومطـــالِ
وهـــي أرض للـــواغلين عليهـــا ... ســـطوة أشـــعبية الإيغـــالِ
كـل مـن فـي جوانـب النيـل عـانٍ ... مســـتغَلُّ الجهـــود والآمـــالِ
كلهـــم غـــارس لآخـــر يجنـــي ... ثمـــر المـــاء والثَّـــرَى والرجـــالِ
وإذا مـــا تفرقـــوا طبقـــات ... جمعـــتهم جوامـــع الأغـــلالِ
وإذا قيـــل مُوسِـــر وفقيـــر ... فقصـــاراهما إلـــى اســـتغلالِ
حققـوا الأمـر مـا قضـية مصـر ... بعـــدُ إلا قضـــية العمـــالِ
فـاعملوا جهـدكم لمصـر جميعًـا ... واتبعوا خطة الهـدى لا الضـلالِ
مـــا لكـــم منصـــف ولا لبنيهـــا ... منصـــف قبـــل يـــوم الاســـتقلالِ

تأملات

حَيَوَات كثيرة لا حياة واحدة

أرى الحيـوات والأيـام شـتَّى وأنـت الـدهرَ فـي كـون جديـد
أتحسـب أنـه شـيء وحيـد إذا سـميته باسـم وحيـد؟
فـلا تخـشَ التنـاقض فـي كـلام عـن الـدنيا ورأي فـي الوجـود
فـإن الصـدق مفترقًـا لأَوْلَـى مـن التلفيـق فـي جمـع الشـهود

حكمة الجهل وجهل الحكمة

حين قال المعري:

وأعجب مني كيف أخطئ دائمًا على أنني من أعرف الناس بالناس

كان من الحق ألا يعجب هذا العجب؛ لأن الكريم يُخْدَع كما قال العرب قديمًا، والإنسان إنما ينخدع بالناس؛ لأنه كثير العطف لا لأنه قليل المعرفة، وإن أقل الناس معرفة ليتقي الخداع إذا كان مع ذلك قليل العطف والشعور، فليس أسهل من أن يغلق المرء أبواب نفسه، ويحجب ما بينه وبين العالم إذا كانت نفسه مُغْلَقَة بطبعها أو كان لها منفذ محدود.

والحوار الآتي حوار بين رجلين: أحدهما حريص يزعم أنه آثر الشُّح والأنانية لِسَعَةِ عقله، والآخر يحسب هذا الحرص فقرًا ويحسب اللجوء إليه ضرورة:

ألـم أقـل لـك مهـلًا فالنـاس لـؤم وشـرُّ
لا تُـولِهم منـك عطفًـا فهـم مـن العطـف صـفرُ

لـــو كنـــت تعلـــم علمـــي ... لمـــا أصـــابك ضـــرُّ
نعـــم نعـــم قلـــت هـــذا ... إنـــي بـــذاك مُقـــرُّ
وأنـــت عنـــدي طفـــل ... وأنـــت عنـــدي غِـــرُّ
ومـــا لقولـــك وزن ... ولا لنصـــحك شـــكرُ
أنفقـــتَ عطفـــك قبلـــي ... وذاك يـــا صـــاحِ فقـــرُ
كـــم حكمـــة هـــي جهـــل ... وغفلـــة هـــي فخـــرُ

حب الإنسانية

لا يكون حب الإنسان حبًّا عظيمًا إلا إذا فاض من طبع زَاخِر، وقلب رحب، ونفس واسعة الآفاق، أما الحب الذي منشؤه العجز عن النكاية وقلة الحيلة، فذلك حب ضرورة لا عظمة فيه:

قـــد جـــرب النـــاس فألفـــاهم ... للـــبُغْضِ أهـــلًا كلهـــم أجمعـــين
فضـــاق عـــن بغضـــائهم ذرعـــه ... ولـــم يجـــد عزمًـــا بـــه يســـتعين
فارتـــد يهـــواهم ويحصـــي لهـــم ... أعـــذارهم وهـــو كظـــيم حـــزين
فيـــا لـــه حبًّـــا لمـــن رامـــه ... أرخص من بغض العدو المبين
لـو لـم يكـن فـي حـبهم مكرهًـا ... لعاضـــهم منـــه بجـــزِّ الـــوتين

شكر اللؤماء

جـــــزاكم الله خيـــــرًا ... يـــــا معشـــــر اللؤمـــــاءِ
عودتمـــــــوني صـــــــبرًا ... علـــــى ضـــــروب المـــــراءِ
وكنـــــت أجفـــــل منهـــــا ... إجفـــــال بـــــاغي النجـــــاءِ
وكنـــــت أحســـــبها مـــــن ... عجائـــــب الأشـــــياءِ
فـــــاليوم أعجـــــب ممـــــن ... يقضـــــي حقـــــوق الوفـــــاءِ
مـــــن يـــــألف الســـــم يُعصـــــم ... مـــــن لدغـــــة الرقطـــــاءِ

مسألة ذوق!

لا تُصلح الأرض يا صديقي ... إن كنت من عاشقي الجمال
فكل ما كان من صلاح ... فيها نشوز أو اختلال
دعها على حالها تدعها ... في خير حال أو شر حال
مجموعة الشمل في طراز ... منسوقة الشكل في مثال
وإن أردت الصواب فامسخ ... ما كان فيها من اعتدال

بعض التفاؤل

من المتفائلين مَنْ يضحك للحياة كما يصفق المرء للرواية السخيفة؛ ليقنع نفسه أنه لم يضيع الليلة عبثًا، ولم يؤد أجرة الدخول في غير طائل:

والله ما هتفوا لك ... ولا استطابوا دخولك
يا مسرح الكون رفقًا ... بهم وعَجِّل أُفُولَك
لو لم يؤدوا رسوم الدُّ ... خول ما صفقوا لك
تسلِّيًا لا سرورًا ... يقرِّظون فصولك
لو يدفع الغيظ غرمًا ... إذًا لشقوا طبولك

صيام الفكر

دع اليوم زاد الفكر في صفحاته ... أنا اليوم عن زادي من الفكر صائم
وقد يهجر العقل الكتاب تدينًا ... كما تهجر القوتَ الجسومُ الطواعم

العلم والحياة

إن أنت لم تفقهم الحياة فكن ... حيًّا فتغنى بها عن الفهمِ

ما العلم مغنيك عن محاسنها وهي غناء كافٍ عن العلمِ
وكل علم لم يَحْيَ صاحبه أحب منه جهالة العجمِ

إن لم تكن متفائلًا فكن حجة للمتفائلين

قلبي إذا غالبه رَيْبُه في آنة فهو بعذرٍ قمين
شكوت من بعض الحياة الأذى وما لها عندي شكاة تشين
إن ألقَ منها الشر لقَّيتها خيرًا وإن خانت فإني الأمين
حسبي غفرانًا لريبي بها أني فيها من دواعي اليقين
أجني مرير الشك منها وبي تؤكد الإيمان للآخرين
إن زارنا فحقٌّ وإن زال بنا الريب فحق مبين

الشعر دار لا دير

الشعر باب الحياة عندي لا مهربي من حياة جدي
لم أقصد الدير من حماه وإنما الدار منه قصدي

قصد الطبيعة

سنة بين قرها ولظاها والغواشي من ليلها وضحاها
سنة! والعناصر الهوج يَقْظَى في سمواتها وتحت ثراها
تنسج الماء والهواء وشيئًا من سناها ونفحة من شذاها
لنرى في صباح يوم بهيج زهرةً يشهد المساء مداها
أيها المؤمنون بالقصد هاكم من أصول الحياة قصد هداها
أيها الواثقون بالعمر مهلًا إنما العمر زهرة في نداها

على البعد! إن كان لا بد من البعد

يا حكيمي وعليمي والذي يعرف الأسرار عرفانًا شديدا

لا تقل لي إنما حسن الدنى ... خدعة تفتن من كان بعيدا
إن يكن ذاك صحيحًا فابتعد ... وانظر العالم تنظره رشيدا
وتكن في الحق أدرى بكلا ... جانبيه وتعش فيه سعيدا
أنت مخدوع عن «الأحسن» إن ... عشتَ «بالأسوأ» ترعاه وحيدا
والذي تزعمه ذا غرة ... هو أستاذك إن كنت مفيدا
جهل الأسرار وانقاد لها ... فوعاها كلها وعيًا شديدا

الجنس

أيما لفظة جرت ... من فم المرأة امرأة
تشتهي الزوج من فئة ... والأخلاء من فئة
ليس بالجسم وحده ... يعرف «الجنس» منشأه

ميزان الرجال

سنجات[1] ميزان الرجا ... ل نقصت وزنًا بعد وزن
حتى رأيت الكِفَّة الـ ... ـكبرى خلتْ ظهرًا لبطن
فإذا وزنت فلا رجا ... ل سوى التشبه والتظني
ما كان يغنينا التما ... م فبات عُشْر العُشْر يغني

ذكرى الموتى تُحْيي الأحياء

لا تظلموا الموتى أمانتهم ... إن الحقوق لمستحقيها
أَنَضِنُّ بالذكرى على مهج ... تركت لنا الدنيا وما فيها
برًّا بنا إن لم نبرّ بها ... فالذكر يُحيينا ويُحييها

---

(١) سنجات: جمع سنجة، وهو ما يوضع في كف الميزان ليوزن به.

الاستعمار

حجة المستعمرين أنهم يفتحون البلاد لضيق أوطانهم عن أبنائها، وهؤلاء المستعمرون هم أنفسهم الذين يجزلون المكافآت ويخلقون المزايا الاجتماعية لتشجيع النسل، وزيادة الذرية، كأن أوطانهم مقفرة من السكان!

ضـقتم بـأولادكم ذرعًـا فمـا لكمـو ... ترعـون كـل أب فـي الحـي ولادِ!
لـو صـح مـذهبكم قامـت شـرائعكم ... لمَـنْ نمـا ولـدًا فـيكم بمرصـادِ
ولاغتـدى كـل ميـت بيـنكم بطـلًا ... مُشـيَّعًا بحفـاوات وأعيـادِ
وقيـل مَـنْ عـاث شـرًّا فهـو محتسـب ... ومَنْ حمى الناس فهو الآثم العادي
لعـل ذلـك يُغنـيكم ويمـنعكم ... غزو الديار وسلب الجائع الصادي

تفاؤل وتشاؤم

لـيس بالزاهـد فـي دنـ ... ـياه مَـنْ يقسـو عليهـا
مـن قسـى يومًـا كمـن بـا ... ـت علـى شـوق إليهـا
هكـذا مـن يشـتهي معـ ... ـشوقة فـي حالتيهـا

العشق المهتدي

اعشـقْ جمـال البرايـا ... نماذجًـا لا فُـرَادَى
تبلـغ مـدى الحـب معنًـى ... ولا تضـل مـرادا

اشتراكي يعلل الربيع

لكل شيء علة مادية أو اقتصادية عريقة الأصول عند الاشتراكيين، وكل مخالف لهم فهو متهم مأجور، وإن لم يدر أنه متهم مأجور! ومن

ورائه مكيدة للمستغلين وأصحاب رءوس الأموال، وهم عدد قليل يستأثر بأعمال العدد الكثير من الناس!

وما القول في جمال الطبيعة وفتنة الربيع؟

هما أيضًا مكيدة «رأسمالية» إن صحت الرواية الآتية!

رفيق أول:

إن الربيـــــــع جميـــــــل صـــــه! ذاك قـــول دخيـــل

رفيق ثان:

ألســـــت تعلـــم أن الـــرَّ بيـــــع شـــــيء ثقيـــــل
وأنـــــه مـــــن صـــــنيع للغـــــش فيـــــه أصـــــول

رفيق أول:

مَـــنْ غشـــه يـــا صـــديقي؟

رفيق ثان:

حقًّـــا لأنـــت جهـــول
قـــد غشـــه الأغنيـــاء الـــ ـــــــمستأثرون القليـــــل
ألـــــيس فيـــــه متـــــاع لهـــــم وظـــــل ظليـــــل؟

رفيق أول:

لكـــن بعيشـــك قـــل لـــي وذاك منـــــي فضـــــول
بـــــأي برهـــــان صـــــدق وأي شـــــرح يطـــــول
قـــد أقنعـــوا الأرض حتـــى باتـــت إلـــيهم تميـــل؟

رفيق ثان:

حقًّا لأنت عجيب فيما أراك تقول!

رفيق أول:

برشوة دفنتها في جوفها يا زميل
ألا ترى التبر فيها منها إليها يئول؟
فافهم إذن يا صديقي فقد أتاك الدليل
وأيَّدتْه شهود وأكدته عقول
الأرض والشمس والنا س والدُّعاة العدول
لهم ضمائر سوء مرضى وطبع وبيل
بذاك «ماركس» أفتى ونقضه مستحيل!

درجات الفضائل

لا تقل فاجر وبَرٌّ ولكن قل هو الصدق والمِرَاء صنوف
رب حق فيه نفيس ومرذو ل ومَينٌ يرجى ومَينٌ يخيف
إنما الفاضل الذي فضله في الـ ـخير والشر فاضل وشريف

الإباحية الحديثة

تعرى الناس لا حبًّا لعرى ولكن أنكروا الطمر القديما
فمن عاف التكشف فليجئهم بجلباب يزينهم سليما

ربيعيات

الفاكهة المحرمة

إذا نهيتَ إنسانًا عن الخمر، فشربها للذتها وهو يؤمن بأنها حرام؛ فالمسألة هنا هي مسألة الخمر، والقوة المتمثلة هنا هي قوة الإغراء على الشراب.

أما إذا نهيته عن الخمر فشربها؛ لأنه لا يؤمن بحقك في نهيه وأمره؛ فالمسألة هنا هي مسألة السلطان والرغبة في تحديه، وليست الخمر إذًا إلا مظهرًا للنزاع بين الآمر والمأمور.

والفرق بين تهتك العصر الحديث وتهتك العصر القديم هو هذا: هو أن المُتهتِّك القديم كانت تغلبه لذة الشيء المنهي عنه، أما المتهتك الحديث فتغلبه شهوة التمرد والجموح:

فاكهـــة الجنـــة الحـــرام ... مـــا زالـــت معشـــوقة الأنـــام
تنـــاولوا مـــن جنـــاك حينًـــا ... شـــوقًا إلـــى لـــذة الطعـــام
واســتطلعوا الســر منــك حينًــا ... والســـــر أمنيـــــة تـــــرام
وذاق منـــك التقـــاة حينًـــا ... ليفئـــوا صـــورة الصـــيام
وهاجمتـــك الغـــزاة حينًـــا ... هجمـــة صـــيد أو اغتنـــام
أمـــا بنـــو عصـــرنا فبـــدع ... فـــي غـــزوهم ذلـــك المقـــام
فمـــا ابتغـــوا لـــذة ولا هُـــمْ ... طـــلاب ســـر أو التهـــام
لكـــنهم قـــاربوك كبـــرًا ... وأولعـــوا فيـــك بـــالملام
تحـــديَ الحـــارس المغـــالي ... وشـــهوة الســـبق فـــي الزحـــام

أزهار الذكرى

قطفت أزاهر الذكرى أصيلًا ... فصوَّح حسنها قبل العشيِّ
فبِتُّ أضاحك الأفلاك سخرًا ... وأرثي للذَّكور وللنسيِّ
إذا ما كان هذا عمر حبي ... فيا بؤس الغرام الآدميِّ

•••

وصاح الحب لا تعجل فإني ... كما نُبِّئتُ من طفل ذكيِّ
ضع الأزهار في ماء، وجدد ... روافدها من الشجر الجنيِّ
تعش ما شئت في حسن نضير ... وفي أمن من الهجر الخفيِّ

•••

نعم يا حب أنت على صواب ... فيا لك من وليد عبقريِّ
وضعتُ الزهر في الماء المُصَفَّى ... وعدت إليه بالرفد الزكيِّ
فرفرف للحياة وطال عمرًا ... وطاول عهده عهد وفيِّ
نعم يا حب أنت على صواب ... وعندك حكمة الخلد الصبيِّ
فلا ماض يدوم بلا جديد ... ولا حيٌّ يعيش بغير رِيِّ
إذا مات الغرام بلا طعام ... فتلك طبيعة في كل حيِّ

ابنا النور (الزهر يخاطب الجوهر)

يا جوهر الحسن لا تضعني ... لديك بالموضع المهان
فالزهر والجوهر المصفى ... صنوان في النور توأمان
أشعة النور في يدينا ... وديعة أو وديعتان
لكننا بيننا اختلفنا ... يا جوهر الحسن في الصِّيان
تصونها أنت من بعيد ... بالسيف والرمح والسنان
ولم تزل في يدي كنزًا ... يُصان بالعطف والحنان

ومعـــدن النـــور فـــيَّ حـــي ... وفيـــك معنـــى الحيـــاة فـــان
فيـــا زمانًـــا بـــلا حيـــاة ... إنِّـــي حيـــاة بـــلا زمـــان
كـــلٌّ لـــه مـــن أبيـــه حـــظ ... ونحـــن بـــالحظ راضـــيان

عودة الكروان

مرحبًـا أيهـا البشـير ومرحـى ... بعد طول السكوت ليلًا وصبحا
جاءنـا رائـد الكـراوين فـي جنـ ... ـح من الغيب يفتح العام فتحا
فـإذا الليـل خـافق، وظـلام الـ ... ـليل طلـق آيـة الليـل فصـحى
وغنمنـا عامًـا مـن العمـر لمـا ... عاد ماضي الربيع والأرض فرحى
والربيـع الجديـد يـدني إلـى المـا ... ضـي شـبابًا ويـربح العمـر ربحـا
كلمـــا زاد بالمواســـم عـــدًّا ... خلتـــه قـــل بالحيـــاة وصـــحًّا
فكـــأن الربيـــع معنـــى قـــديم ... فـي طويـل الزمـان يـزداد شـرحا

•••

مرحبًـا بالبشـير بـل ألـف مرحـى ... قد سمعناك فاملأ السمع صدحا
واملأ الليـل بالنـداء علـى الحبـْ ... ـبِ مُصِـرًّا علـى النـداء مُلِحًّـا
أنـت لا شـك مـوقظ منـه وَسْـنَا ... نًـا معيـد لـه إذا مـا تنحَّـى
قـد سـمعناك بـالقلوب وصدقـ ... ـناك فاسبح بحمد دنياك سبحا
لسـت بالمـادح المريـب فلـولا ... فتنـة فـي الحيـاة مـا قلـت مـدحا

•••

مرحبًـا بالـذي إذا ارتجـل السـا ... عة أوحى في النظر ما ليس يوحى
المعيـد الزمـان جـيلًا فجـيلا ... وهو في ضحوة من العمر أضحى
أبـدًا مـذكري وإن نشـأ العـام ... عهودًا من سالف العمر مرحى
أنـت ذكـرى وأنـت بُشـرى فهيهـا ... ت لقلب عن أي نهجيك منحى

لك لمح كالبرق في عالم الصو ... ت يشق الظلام جنحًا فجنحا
ويرينا الحياة وهلة حلم ... تنجلي عالمًا، وتعبر لمحا
أمة الطير لا عدمنا نصيحًا ... منكم يبهج الخواطر نصحا
مؤمنًا بالرجاء يُزجي إلينا ... من رجاء ما غاب حينًا وشحًّا
داعيًا للحياة لم يألُ نضحًا ... من مزاميرها ولم يألُ نفحا
أنتم من مراجل الشوق فيها ... شرر يقدح الضمائر قدحا
تطلبون الجمال كالعاشق المط ... ـلوب لا كالأثيم يطلب صفحا
كل من بشروا من الناس بالخيـ ... ـر عيال على العصافير طلحى
لا ترى الشك في سرور ومنها ... كل يوم قتلى شرور وجرحى

•••

زعموا البوم نائحًا ظلموا البو ... م فلم يشك في الخرائب برحا[1]
إنما كان مغرمًا يَتغنَّى ... أو مجدًّا يغالب العيش نجحا

فصل الحب

هناك سنبلة في كل نابتة ... وها هنا ريشة في كل منقارِ
قضى الزمان حقوق الزهر وابتدأت ... حقوق فاكهة تنمي وأثمارِ
فالغصن والطير هبَّا يلقيان معًا ... بنيهما بين أكمام وأوكارِ

عزاء

قلت للقلب كيف حسن العزاء ... بعد فقد الصحابة الأوفياء؟
قال لي القلب وهو يزعم أن لم ... يتبدل شيء من الأشياء
كل شيء كعهده لا جبال الـ ... أرض غارت ولا نجوم السماء

---

(١) البرح: الشدة والأذى.

قلت يا قلب قد صدقت ولكن ... بلغ الصدق منك جهد الرياء
إن يكن ذاك خير ما أنت فيه ... من عزاء، فذاك شر البلاء

يومنا

يومنا عاد، فهل تعرفه؟ ... شد ما رعرعه العام السريع؟
شد ما غذته في نشأته ... قبلات تشبع الحب الرضيع
هي تنمي حين تغذو طفلها ... وهي تنمي طفلها حين تجيع

•••

سنة كانت ربيعًا كلها ... بين روضٍ يتغنى ويضوع
زهرها ناهيك من زهر، فإن ... أنبتت شوكًا، يكن شوك ربيع
حبذا الشوك من الحب ولا ... حبذا من غيره العشب المريع

•••

غُضَّ عينيك قليلًا واستعِدْ ... خطوات العام في الأفق الوسيع
كم ترى من خفقة غَنَّتْ بها ... ساعة العمر التي بين الضلوع
كم ترى من قبلة رنت بها ... تلكم الساعة؟ قل لو تستطيع!
كم ترى من نشوة حامت بنا ... حول عِلِّيين والعرش الرفيع
إن يطل شرح المعاني فاختصر ... كل ما فرقت في معنى جميع
هو «حب» فإذا فرقته ... فهو ما راع قديمًا ويروع
هو حب واحد لكنه ... شائع كالنور من حيث يشيع
لم يكرر قط في ترداده ... كل ترداد له خلق بديع
فإذا عشت له عشت به ... في بواكير من العيش الينيع
أين يمضي بك يا يومُ السرى ... وعنان الحب يا يوم مطيع؟
طفت ما طفت وساقتك لنا ... صحبة إن ضاع شيء لا تضيع

وعلى العهد مدى العمر هنا ... نحن يا يوم ومأواك منيع
أبدًا نلقاك والحب معًا ... ها هنا بين مُضِيٍّ ورجوع

حذار!

قلت للحب تجرد لمحةً ... من كناناتك وادخل بسلام
قال لا تخشَ فإني قادم ... غير ما عادٍ ولا باغي خصام
ثم أمسينا وبي من طعنه ... حرقات دامية وسمام
قلت: من أين سهام مزقت ... ذلك القلب فأمسى لا ينام؟!
قال: من ريشي إذا الريش نما ... ومن الوهم إذا جن الظلام

•••

يا أمين القلب لا تأمن له ... حول مغنانا ولا ترع الذمام
أنت إن عرَّيته من ثوبه ... نبتت من جلده تلك السهام
ومن الوهم لديه عدة ... قصفت شكتها كل حسام

مرقص الشجر أو جنون الرقص

عجبًا ما لذا الشجر؟ ... جنَّ أو مسه سكَر!
ودَّ لو يتبع النسيـ ... ـم طليقًا من القدر
كل ما فيه راقص ... ثائر ثورة الخطر
يترامى مرفرفًا ... ذاهب السمع والبصر!
يحسب اللهو فانيًا ... أو مجدًّا على سفر
هكذا تصنع الحسا ... ن مع اللهو والسمر
إن زهتهن فتنة ... قلن للقلب لا ندر
أو تَذَوَّقْنَ لذةً ... قلن لا ينفع الحذر

على شاطئ البحر

يـــا جيـــرة البحـــر غوصـــوا ... فـــي كـــل قـــاع بَـــرود
مـــا البحـــر عـــنكم بمغـــنٍ ... علـــى اطـــراد الـــورود
جيرانـــــه فـــــي احتـــــراق ... علـــى اخـــتلاف الوقـــود
مـــا بـــين لمـــع ســـماء ... وبـــين لمـــع خـــدود
فـــلا نجـــوا بقلـــوب ... ولا نجـــوا بجلـــود

القمراء

إن في القمراء من سحر الصبا ... مســحة تفــتن عــين الــذاكرِ
تلمــح العــالم فيهــا مثلمــا ... لاح فــي عــين شــباب بــاكرِ
بــين نــور كشــعاع المختلــى ... وانتبـــاه كنعـــاس الخـــادرِ

إلى ضحية الغيرة

أنــتِ مظلومــة ومــا أنــا بالظــا ... لـم بـل نحـن فـي القضـاء سـواء
غيــرة الحــب جرعتنــا ظنونًــا ... لــك فيهــا ولــي كــذاك شــقاء

على البحر

حبـذا البحـر مـن قـويٌ غريـر ... كـاغترار الصـبا بغيـر حسـابِ
نفـث النـوم فـي جنـوني وزَجَّـى ... سـكرات الأحـلام فـي أعصـابي
نمـتُ ليلـي عليـه نومـة مـوتَى ... وتيقظـــت يقظـــة الأربـــابِ
أجمـع المـوت والربوبـة تخـرج ... مـن معانيهمـا بمعنـى الشـبابِ

الشتاء والربيع

كـــل بـــادٍ يريـــد أن يتـــوارى ... فـي الشـتاء المُغلَّـف المسـدود

كـل خـافٍ يريـد أن يتجلـى فـي الربيـع المزخـرف المشـهود
هـات لـي العـالم الصـريح ودعنـا مـن حيـاة خجلَـى وطبـع بـرود

في القمر

في الليلة القمراء ما أحلى النظر! لكـل شـيء لاح فـي ضـوء القمـر
حتى الثرى، حتى الحصى، حتى الحجر

•••

ليسـت مـن الآجُـرِّ هاتيـك البنـى لا بـل خيـال مـن ظـلام وسـنى
كخيلـة الأشـكال فـي السـحب لنـا

•••

أكـاد عنـد رؤيتـي طِلَاءهـا أرسـل عينـيَّ لمـا وراءهـا
كمـا تخـوض نظـرة قضـاءها

•••

قد شف بالصخرة مصباح الدجى فكيـف بـالنفس وكيـف بالحجـا
عـاش علـى مـر الليـالي مسـرجا

حيرة

لـك الله يـا حـب مـن حيـرة تهـد القـوى وتبُـتُّ الأجـل
أرى الحيـوان سـعيدًا بـه وإن الشـقيَّ بـه مـن عقـل
أترضـاه فـوق منـال الظنـو ن وما فوقها فهو فوق الأمل؟
وإلا فكيـف تطيـق الظنـو ن وأهون ما في الظنون الخبل؟

هدية

فـي الـروض رمـان وكُمَّـ ـثرى تغـازل منـك ثغـرا

فـــيم اســـتبحت ذمارهـــا ... فهصـــرتها بـــالراح هصـــرا
أمـــن القلـــوب حســـبتها ... فعلوتهـــا قطعًـــا وبتـــرا
لا تشـــك مـــن عـــدل الجـــزا ... ء إذا أصـــابت منـــك ثـــأرا
جرحتـــك حـــين جنيتهـــا ... فـــاعرف لهـــا ذنبًـــا وعـــذرا

•••

ثمـــر الريـــاض! تعـــال يـــا ... ثمـــر الريـــاض! جُزِيـــتَ عشـــرا
آليـــت لا لُبَّـــا تركـــ ... ـــت ولا تركـــت عليـــك قشـــرا
خـــذ هـــذه؟ خـــذ تلـــك؟ هـــا ... ت اللـــب هـــات القشـــر مُـــرّا
أتعضـــه شـــوقًا إليـــ ... ـــه ومهجتـــي بالشـــوق حَـــرَّى
لا غـــرو تســـتحلي المـــذا ... ق فأنـــت بـــالحلواء أدرى

•••

نعـــم الثمـــار أحبهـــا ... نظمًـــا كمـــا اتفقـــتْ ونثـــرا
أهـــديتنيها مـــن ريـــا ... ضـك زنـت يـا روضـي فشـكرا
فاضـــت علـــى قلبـــي هـــوًى ... وجـــرت علـــى شـــفتيَّ شـــعرا

العيش جميل!

صـــفحة الجـــو علـــى الـــزر ... قـــاء كالخـــد الصـــقيل
لمعـــة الشـــمس كعـــين ... لمعـــت نحـــو خليـــل
رجفـــة الزهـــر كجســـم ... هـــزه الشـــوق الـــدخيل
حيـــث يممـــت مـــروج ... وعلـــى البعـــد نخيـــل
قـــل ولا تحفـــل بشـــيء ... إنمـــا العـــيش جميـــل!

متاع جديد

مـن جديـد المتـاع يـوم خريـف تحـت وهـج السـماء عـاد ربيعـا
ومحيـــا فـــي الأربعـــين وديـــع تحـت بـث الغـرام شـب سـريعا
نضـح القلـب بالجمـال فسـوى مـن ثنايـا الغضـون وجهًـا بـديعا
ذاك أحلـى مـن الشـباب شـبابًا ومنـى الـنفس مـا يعـز رجوعـا

متفرقات

تكريم

أُلْقِيَتْ في الاحتفال الذي أقامه أبناء أسوان المقيمون بالقاهرة؛ تكريمًا لصاحب السعادة إبراهيم عامر باشا، الذي تبرع للدفاع الوطني بخمسة آلاف جنيه، وكان أسبق المتبرعين، وقد أُنْعِمَ عليه برتبة الباشوية، وأُقِيمَ الاحتفال لهذه المناسبة:

بلدة الشمس والجبال ... كيف لا تنجب الرجال؟
أنجبت مثل عامر ... وهو في الهمة المثال
الذي في جهاده ... سبق القول بالفِعَال
والذي كان أول الصـ ... ـف في حومة النضال
عندما نُودِيَ «الدفا ... ع» بدا فارسَ المجال
وتلا مَنْ تلا وصا ... ل بنو النيل حيث صال
أشجع الناس باذل ... هزم الشح والمطال
كرم النفس كالشجا ... عة من أندر الخصار

•••

يا بني موطني! وأنـ ... ـتم على ذروة القلال
كَرِّمُوا الذروة التي ... رفعت هامة الهلال
رفعت أَرْؤُسًا وطا ... لت مع المجد حيث طال
واحمدوا في احتفالكم ... أجدر الناس باحتفال
العصاميّ في الغِنَى ... والعِظَاميّ في الخلال

والـــــذي جـــــد وحـــــده ... فشـــأى عصـــبة الرجـــال
والـــــذي كـــــل درهـــــم ... فـــــي تجاراتـــــه حـــــلال
زانـــــــه الله بالأمـــــــا ... نـــة والصـــدق فـــي المقـــال
والمضـــــاء الـــــذي يجـــــدّ ... ولا يعـــــــرف الكـــــــلال
والنظـــــام الســـــويّ فـــــي ... غيـــــر ضـــــيق ولا اخـــــتلال
يتبـــــع المـــــال صـــــاغرًا ... مـــــن لـــــه العـــــزم رأس مـــــال

•••

لقـــــب حـــــازه وكـــــم ... حـــــازَ مـــــن قبلـــــه ونـــــال
لـــــم يـــــزد فضـــــله بـــــه ... فهـــــو ذو الفضـــــل لا جـــــدال

•••

كَرِّمُـــــــــوه تكرمـــــــــوا ... خيـــــــر دار، وخيـــــــر آل
إن أُسْـــــوَان مـــــا خلـــــت ... قـــــط مـــــن معـــــدن الكمـــــال
صـــــخرها جـــــوهر الخلـــــو ... د وأنمـــــــــوذج الجمـــــــال
وبنوهـــــــــا وأنـــــــــتمُ ... مـــــن بَنِيهَـــــا بخيـــــر حـــــال
لكـــــم المجـــــد لا يـــــزا ... ل مـــــن الأعصـــــر الخـــــوال
إنمـــــا المجـــــد بـــــالعلا ... لا جنـــــــوب ولا شـــــــمال

•••

يـــا صـــديق ويـــا ابـــن قـــو ... مـــي وجـــاري علـــى اتصـــال
أقـــــرب القـــــرب بيننـــــا ... شِـــــيمَة فيـــــك لا تُنـــــال
شـــيمة النُّبْـــل فـــي اســـتقا ... مـــة طبـــع وفـــي اعتـــدال
شـــــيمة العـــــزة التـــــي ... لا يُغـــــالي بهـــــا اختيـــــال
إنهـــــا جيـــــرة لهـــــا ... أبعـــــد النـــــاس مســـــتمال

لا تـــــزل غانمًـــــا بهـــــا ... هانئًـــا فـــي هـــدوء بـــال
يَرتضـــي ســـعيك المَلِيـــ ... ـــك ويرعـــاك ذو الجـــلال
وحواليـــــك دولـــــة ... مـــن محبيـــك لا تـــدال
تتلقـــــاك نعمـــــة ... أبـــد الـــدهر فـــي اقتبـــال

نداء طفل

أُرْسِلَتْ إلى عروسين:

ســـــرى إلـــــى الآذان ... فـــي غفـــوة الوســـنانِ
نـــداء طفـــل جـــريء ... مســـتعجل لهفـــانِ
عجبـــت منـــه صـــغيرًا ... يقـــول طلـــق اللســـانِ
«أبـــي كـــريم وأمـــي ... كريمـــة فـــي الحســـانِ»
كلاهمـــا فـــي رواء ... مـــن الصـــبا وازديـــانِ
كلاهمـــا ذو فـــؤاد ... مجمَّـــل بالحنـــانِ
كلاهمـــا يتمنـــى ... بـــين الصـــغار مكـــاني
فلـــي أحـــق رجـــاء ... فـــي عـــالم الإنســـانِ
وفـــي ولادة يُمْـــنٍ ... تُـــزَفُّ بالمهرجـــانِ
وفـــي احتفـــال ختـــان ... وفـــي احتفـــال قِـــرَانِ
وفـــي احتفـــال نجـــاح ... يجـــوز كـــل امتحـــانِ
هيـــا ادعـــواني ســـريعًا ... إليكمـــا واهـــدياني
وقَرِّبَـــا لـــي ضـــياء الشـــ ... ـــموس والأكـــوانِ

•••

قـــالوا: انتظـــر! قـــال: لا لا ... هيهـــات لســـت بِـــوانِ
قـــالوا تعقـــل قلـــيلا ... يـــا أعقـــل الفتيـــانِ!

فكـــل شـــيء لـــدينا ... موكَّـــــل بـــــأوانِ
أتحســـب العـــيش رهنًـــا ... بمـــا قضـــى الأبـــوانِ
فصـــاح صـــيحة ســـخط ... وقـــال فـــي عنفـــوان
مـــا لـــي أنـــا؟ أنـــا مـــا لـــي؟ ... هيـــا ادعـــواني ادعـــواني
أتأبيـــــان لقـــــائي ... مـــــا أنتمـــــا منصـــــفانِ

•••

لا تعـــــذلوه إذا مـــــا ... أطـــال فـــي الهـــذيانِ
فالطفـــل غيـــر صـــبور ... علـــى الحجـــا والبيـــانِ
والطفـــل هيهـــات يـــدري ... يومًـــا بحكـــم الزمـــانِ
فاســـتمهلاه برفـــق ... وحيلـــة وافتنـــانِ
ولا تطـــيلا عليـــه ... فـــي الغيـــب عـــد الثـــواني
فكلنـــا نترجـــى ... قدومـــه فـــي أمـــانِ

إلى صديقي موفق جلال في الشهر الثامن عشر من عمره المديد

يـــا صـــاحبي يـــا أصـــغر الـــ ... أصـــحاب فـــي ســـن وقـــدِّ
يـــا شـــاغلًا مـــن حيـــز الـــ ... آمـــال والأحـــلام عنـــدي
مـــا لـــيس يشـــغله كبـــار ... ر القـــوم فـــي قـــرب وبُعْـــدِ
أنـــا عـــالم أن لســـت تهـــ ... ـــوى صـــحبتي إلا لقصـــدِ
إلا لحلـــوى فـــي يـــدي ... أو لعبـــة أو هـــزِّ مهـــدِ
أو صـــفحة تعـــدو إلـــى ... تمزيقهـــا كالمســـتعدِّ
أنـــا عـــالم مـــا فيـــك مـــن ... مكـــر ونســـيان لعهـــدِ
لكـــنَّ أوفـــى الأوفيـــا ... ء وأيـــن هـــم فـــي كـــل عهـــدِ؟
لا يبلغـــون مـــداك فـــي ... شـــوقي وإيثـــاري وحمـــدي

وقبـــول مـــا تقضـــيه مـــن ... عطـــف ومـــن تيـــه وصـــدِّ
والعـــض مـــن تلـــك الثنـــا ... يـــا الناشـــطات إلـــى التعـــدي
وطويـــل حقـــد لا يطـــو ... ل هنيهـــة وقصـــير حقـــدِ
وفنـــون هـــزل لا تـــزا ... ل تجـــد فيهـــا أي جـــدِّ
وعنـــاد رأي لا يليـــ ... ـــن ولا يكـــف عـــن التحـــدي
وتغاضـــب يجـــدي إذا ... كـــان التوســـل لـــيس يجـــدي
أنـــا عـــالم هـــذا وذا ... ك وبـــالغ فـــي العلـــم جهـــدي
حتـــى نـــراك تشـــق مضـــ ... ـــمار الـــدهاء بغيـــر نِـــدِّ
جهـــد الحكايـــة أن تُـــدا ... رِيَ فـــي غـــد مـــا أنـــت مُبْـــدِ
يـــا صـــاحبي يـــا أصـــغر الـــ ... أصـــحاب فـــي ســـن وقـــدِّ
يـــا شـــاغلًا مـــن حيـــز الـــ ... آمـــال والأحـــلام عنـــدي
مـــا لـــيس يشـــغله كبـــار ... ر القـــوم فـــي قـــرب وبُعْـــدِ
أنـــا عـــالم أن لســـت تهـــ ... ـــوى صـــحبتي إلا لقصـــدِ

إلى طبيب العيون الدكتور نصر فريد

قـل لآسـي العيـون نصـر فريـد ... قـد عرفنـاك هـاديَ الهـاديين
رُبَّ عـــين هـــديتها لضـــياء ... وضـــياء تهديـــه طوعًـــا لعـــين
كـل مـن حـاد منهمـا قَوَّمَتْـه ... نظـرة منـك فاهتـدى بعـد أيـن
عجبـي مـن زجاجـة تنتقيهـا ... فـإذا الكـون مشـرق الصـفحتين
أيـن شـأن الزجـاج مـن ذاك لـولا ... نـور علـم يضـيء فـي الخـافقين

تحية موسيقية إلى ملك العراق

اقترحتها إحدى الفرق الغنائية لإنشادها في رحلة إلى بغداد:

غـازي قلـوب الشـعب بـالكرم ... والفضـل والتـدبير والحسـنى
غـازي العـدى بالبـأس والهمـم ... حسـنت طوالـع سـعدك اليمنـى
أحييـت فـي بغـداد للـدنيا ... عهـدًا كعهـد أخيـك مـأمون
تحيـا وشـعبك دائمًـا يحيـا ... فـي مـوطن بهـداك مـأمون

•••

دُمْ يـا إمـام العـرب مشـتملًا ... بالملـك فـي عـز وإقبـال
واجعـل شـباب العـرش متصـلًا ... فـي مجـده بشـبابك الغـالي

القلم المسروق

زاملني في السجن ذاك القلم [1] ... ونالـه مـا نـالني مـن قسـم
ومَـسَّ مـن فكـري وأسـراره ... مـا رامـه النـاس ومـا لـم يُـرَم
فـرُبَّ معنًـى مـا وعـاه سـوى ... ريشـته ثـم انطـوى فانحسـم
وكـم لـه مـن حصـة تُرتضـى ... فيمـا جـرى مـن أدب أو حكـم
وكـم لـه مـن نفحـة كالصَّـبا ... وكـم لـه مـن لفحـة كالضَّـرم
وكـم لـه مـن زهـر مُجتنـى ... وكـم لـه مـن ثمـر مُلـتهم
سـجَّل مـا سـجَّل مـن رحمـة ... أو نقمـة مـرت بـأرض الهـرم

•••

ورُبَّ مسـكين قضـى حقـه ... وغاشـم أحصـى عليـه اللمـم
أعززتـه عـن حليـة تُقتنـى ... وصـنته عـن غاليـات القـيَم
ولـي أخٌ يـذكرني بـالنعم ... فقلـت أجـزي بعـض تلـك النـعم
فلـم أجـد أنفـس منـه لمَـنْ ... محَّضَـني قلبًـا نفـيس الشِّـيم
قـد صـان مـا أكتـب فـي صـدره ... فغيـر بـدع أن يصـون القلـم

---

(1) كان هذا القلم من الودائع التي بقيت في السجن أشهرًا ملفوفة محبوسة كذلك.

يظل يستوحيه في كل ما ... أوحى ويرعاه كرعْي الذمم
رعاه في أمن إلى أن قضى ... عليه بالفقد قضاءٌ حَتَم
فغاله منه لصوص لهم ... من كل عين فرصة تُغتنم
في يوم حشر حافل المزدحم ... ضلت به العين مكان القدم
قد نام عنه لمحة في الضحى ... فبات في ليلته لم ينم

•••

أما وقد فارقتنا يا قلم ... وصالح اليأسُ عليك الألم
فخير ما أرجوه أن لا تُرى ... في كف خَوَّان ولا مُتَّهم
ولا تخط الجهل في صفحة ... «أبيض» ما فيها سواد الحمم
ولا تكن يا قلمي آلة ... تشتمني باللغو فيمن شتم
فتنظم الحكمة لي من هنا ... ومن هنا تنحى على مَنْ نظم
بدأت في الأوج فلا تنحدر ... إلى حضيض الذل في المختتم

شبيه القلم المفقود

شبية القلم المفقو ... د في لون وفي حجم
البائع والشاري ... وفي الصنعة والرسمِ
ستغنيني إذا استغني ... ت بعد الروح بالجسمِ
أو استغنى بتمثال ... فؤاد الأب والأمِّ
إذا عزاهما عن را ... حل عزى على رغمِ
وقد يسلى إلى حين ... وفي السلوة ما يدمي

رثاء

رثاء غانم

كان الأستاذ غانم محمد صديق صاحب الديوان يزوره يوم عيد الفطر، ثم طاف ببعض إخوانه، ورجع إلى بيته، فما استقر لحظة بين أبنائه وآله حتى أصابته نوبة قلبية قضت عليه – رحمه الله – وهو في عنفوان أيامه، فلم تمض بين تهنئته ونعيه غير ساعات:

أكان وداعًا يوم صافحتُ غانمًا ... وهنأته بالعيد والعيد يسخرُ!
فيا ويح للداعين في غفلة المنى ... يُرَجُّون طول العمر والعمر مُدْبِرُ
ويا ويح للأبناء يا خير والد ... وقد رُوِّعوا في وكرهم حين بشروا
أذاك صياح العيد أم أنا سامع ... صياح يتامى في الحِمَى تتفطرُ؟
تلاحق في تلك الثغور كلاهما ... فيا هول ما نصغي إليه وننظرُ
وددتُ وقد ضن البشير بصدقه ... لوَ انَّ نذيرًا بالمساكين يعبرُ
أغانم إني في مصابك ذاهل ... قليل التعزي سافر الحزن مضمرُ
بذلت دموعي في بكاك رخيصة ... ومثلك من يُبكى ويُرثى ويُذكَرُ
أفي كل يوم تبصر العين غانمًا ... ومن أين؟ والأخلاق في الناس تندرُ
عرفت «أبا فتح» تولاه ربه ... أخًا في وغى الأيام لا يتقهقرُ
وفيًّا إذا شاع الوفاء وإنه ... عليه إذا عز الوفاء لأَقْدَرُ
كريمًا إذا صال العداة وزمجروا ... كريمًا إذا خان الصحاب وقصروا
صبورًا على ضَرِّ الغريم وإنه ... على الضر من ظلم الصديق لأَصْبَرُ
ضليعًا بأعباء الأمور إذا ونَى ... مدبِّر أمر أو أساء مُقَدِّرُ

أخوك «أمين»[1] فرَّق العام منكما ... صفيين لم يفرقهما ما يكدرُ
على موعد العام لقصير التقيتما ... فليتك من يسهو ومن يتأخرُ
سلام الخصال الصالحات عليكما ... وحمد المعالي والثناء المعطرُ
ولا زال في دار المعارف منكما ... صنيع على الأيام يروي ويشكرُ

على أطلال الدنيا

إذا انطوت الدنيا لم يبقَ من أبنائها أحد، فليس هناك خسارة، وليس هناك من يشعر بالخسارة.

وإذا شهد للدنيا شاهد بالخير، فإنما يكون هذا الشاهد من أبنائها، وإنما يشهد بما أعطته وأغدقت عليه، وإنما شهادته نفسها عطية من عطاياها وكلمةٌ من لسانها، فليست هي بالشهادة المقبولة.

وإذا حسبنا ما للدنيا وما عليها فالنتيجة صفر؛ لأن النتيجة هي العدم:

قضيت الآن يا دنيا فقري ... لمن أرثيك؟ ويحك! لست أدري
فما أنجبت غير ذويك نسلا ... وهم تبعوك في أعماق قبرِ
وماذا فيك من ذخر جميل ... لعين «المستقل» المستقرِّ
أراك كما اشتهى الأحياء طرًّا ... فأما الميتون فلست أدري
وكنت على ضيائك أنت مرأى ... وسيمًا في عيون بنيك يسري
فأما الآخرون فما استهلوا ... عليك ولا رأوك بعين حرِّ
إليك ومنك من وجدوك حينًا ... ومن فقدوك بعد ضياع عمرِ
حسبنا جانبيك على استواء ... فيا لك حسبة ختمت بصفرِ

---

(1) الأستاذ أمين لطفي، وقد توفي أيام العيد قبل صديقه وزميله بعام واحد.

الفهرس

الموضوعات الشعرية..... ٥

الموضوعات..... ١٠

أناشيد وأغاني ٤٢

قوميات ٤٩

تأملات..... ٦٥

ربيعيات ٧٣

متفرقات..... ٨٣

رثاء ٩٠